جامعة الأزهر
كلية الدراسات الإسلامية والعربية
للبنين بالديدامون – شرقية

# مقدمات موضوعية
# في أواسط المفصل

إعداد

**دكتور: محمد بن عبدالعزيز بن محمد العواجي**

أستاذ التفسير وعلوم القرآن بكلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية

البريد الإلكتروني: aboayob1@gmail.com

العدد التاسع

١٤٤٤هـ/ ٢٠٢٢م

# مقدمات موضوعية في أواسط المفصل

محمد بن عبدالعزيز بن محمد العواجي

التفسير وعلوم القرآن كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية

الجامعة الإسلامية المدينة المنورة الدولة: المملكة العربية السعودية

٠٠٩٦٦٥٥٣٣٠٨١١٧

aboayob٥@gmail.com

**ملخص البحث**

**يهدف البحث** إلي بيان قسم المفصل، وهو من أقسام القرآن الأربع: الطوال والمئين والمثاني والمفصل، وهو آخرها، وقد اتسم بقصر سوره تدريجيا حتى نهايته، يبدأ من سورة ق وينتهي بسورة الناس، ومن المستحب قراءته في الصلوات، الجهرية والسرية، وبه يبدأ حافظ القرآن؛ كونه أقصر الأقسام الأربع، ولما اشتمل عليه من مواعظ وتذكير، وقد تكلم الباحث عن فضائل هذا القسم، وأقسامه وخصائصه، وتشابهه، وأساليبه التي تميز بها، عن باقي الأقسام، وقد اتبعت المنهج التحليلي والمقارن.

**ونتائج** البحث منها: أنَّ البدء بالمفصل في الإقراء والتعليم والعلم والحفظ سنةٌ ثابتةٌ، لها أثرها التربوي والإيماني الظاهر، وأن سور المفصل ضُمِّنت تدرجاً في التشريع، وترتيباً للأولويات عند المسلم. وأبرز البحث دقة تناسب وترتيب سور المفصل، وترتيب كل سورة منها

**كلمات مفتاحية:** المفصل، الطوال، فضائل القرآن، تدبر.

**Objective introduction to Al mufassal section of the Qur'an**
**Mohammed bin Abdulaziz bin Mohammed Al-Awaji**
**Interpretation and the sciences of the Qur'an**
**College of the Holy Quran and Islamic Studies**
**almadinat almunawara Islamic University**
**country: Kingdom of Saudi Arabia**

**٠٠٩٦٦٥٥٣٣٠٨١١٧**

**aboayob٥@gmail.com**

## Abstract

The research aims to reflect upon the section of the mufassal, which is one of the four sections of the Qur'an: at-tiwal, al-ma'een, al-mathani, and al-mufassal, which is the last of them. It is characterized with having the shortest chapters, and for what it contains of preaching and reminding, the researcher has talked about the virtues of this section, its divisions, characteristics, similarities, and styles that distinguish it from the rest of the sections. He has followed the analytical and comparative method.

the research results include: Starting with the Mufassal in reading, teaching, learning and memorizing is a proven Sunnah, which has an apparent educational and faithfulness impact, and that the chapters of Al-Mufassal were gradual in their legislation, and made an order out of the priorities concerning the Muslim individual. The research highlighted the precision of the proportionality and arrangement of the chapters of Al-Mufassal, and the arrangement in each chapter.

**Keywords**: the joint, the length of time, the virtues of the Qur'an, contemplation.

## بسم الله الرحمن الرحيم

## المقدمة

الحمد لله رب العالمين، المتفرد بكمال الجمال والإنعام على الخلق أجمعين، الذي أرسل رسله لهداية العالمين، وختم رسله بسيد الخلق وإمام المرسلين نبينا محمد عليه وعلى آل بيته وصحابته أفضل الصلاة وأتم التسليم والحمد لله رب العالمين. أما بعد

فإن من أجلِّ العلوم قدرًا، وأرفعها ذكرًا؛ العلم المتعلق بأشرف الكلام وأجله وأسماه: كلام الله جل في علاه، وهو علم التفسير، إذ إن المشتغل به آخذ بروح التلاوة ولبها، ومقصودها الأعظم ومطلوبها الأهم، الذي تشرح به الصدور، وتستنير بضيائه القلوب، وهو التدبر، كما قال تعالى: {كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ} [ص: ٢٩].

فكتاب الله خير ما تقضى فيه الأعمار، وتستغل الأوقات في حفظه وتدبره، ومن ثمّ العمل به وتطبيقه في واقع الحياة، وما زال العلماء قديماً وحديثاً يخدمونه بتأليف تفاسيره، إذ بلغت أعداداً كثيرة، مع اختلاف مشاربها، وتنوع مناهجها، وتباين طرقها، غير أنها تلتقي في نهاية الأمر على خدمة كتاب الله، وتوضيح مبهمة، وبيان غامضة، وتقريب معناه لمبتغي العمل به والتقرب إلى الله عزَّ وجلَّ.

كما أن في الاشتغال به تحصيلاً لمنافع الدنيا والآخرة؛ لأنه المصدر الأول لها ولذلك كان الصحابة رضي الله عنهم يحرصون كل الحرص على الجمع بين حفظ القرآن وفهمه. عن أبي عبدالرحمن السلمي قال: حدثنا من كان يُقرؤننا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أنهم كانوا يقترئون من رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر آيات فلا يأخذون في العشر الأخرى حتى يعلموا ما في هذه من العلم والعمل، قالوا: فعلمنا العلم والعمل[1].

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند (٥/ ٤١٠) وعبدالرزاق في المصنف (٣/ ٣٨٠)، وابن أبي شيبة (٧/ ١٥٢) والبيهقي في شعب الإيمان (٣/ ٣٤٤) والفسوي في المعرفة والتاريخ (٢/ ٥٩٠) والطحاوي في مشكل الآثار (٤/ ٨٢) والفريابي في فضائل القرآن (ص٢٤١) والمستغفري في فضائل القرآن (٣٦٠)، وابن جرير

ومن خلال فهم معاني القرآن وتدبره يحصل التلذذ به، وتقوىٰ الرغبة في المداومة مع التعبد لله تعالىٰ بتلاوته، وأحب الخلق إلىٰ الله تعالىٰ أعلمهم بما أنزل[1]. قال سعيد بن جبير:" من قرأ القرآن ثم لم يفسره كان كالأعمىٰ أو كالأعرابي"[2]، ولذا يقول الطبري: «إني لأعجب ممن قرأ القرآن ولم يعلم تأويله كيف يتلذذ بقراءته»[3].

و"إنَّ أيَّ علم إنّما يَنال شَرفه من إحدىٰ ثلاثة أمور: من جهة موضوعه، أو من جهة غرضه، أو من جهة الحاجة إليه.

أمَّا من جهة الموضوع فإن موضوعه: كلام الله تعالىٰ الذي هو ينبوع كل حكمة ومعدن كل فضيلة، فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم، لا يَخْلَق علىٰ كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه.

وأمَّا من جهة الغرض فإن غرضه: الاعتصام بالعروة الوثقىٰ، والوصول إلىٰ السعادة الحقيقية التي لا تفنىٰ.

وأمَّا من جهة شدة الحاجة؛ فإن كل كمال ديني أو دنيوي، عاجل أو آجل مفتقرٌ إلىٰ العلوم الشرعية والمعارف الدينية، وهي متوقفة علىٰ العلم بكتاب الله تعالىٰ"[4].

ورغبة في تحصيل هذه الفضائل وغيرها مما يطول المقام عن استقصائها، ورغبة في إهداء الناس عامة شيئًا من الكنوز العظيمة واللآلئ والدرر التي يحويها كتاب الله؛ كانت دروس التفسير الموضوعي الميسر للفاتحة وقصار المفصل، التي طُبعت فيما بعد، فطلب مني بعض الزملاء والطلاب إكمال المفصل علىٰ نفس المنهجية، فرأيت أن ذلك يصعب ويطول، لكن ما لا يدرك كله

---

(١/ ٨٠) والحاكم في المستدرك (١/ ٧٤٣) وقال صحيح الإسناد. قال أحمد شاكر في حاشية الطبري: إسناد صحيح، وقال محقق المسند شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن من أجل عطاء.

(١) أورد ذلك القرطبي عن مجاهد رحمه الله تعالىٰ ١/ ٤٣٧.

(٢) الطبري: جامع البيان ١/ ٨٠ (٨٧).

(٣) نقلها ياقوت الحموي في معجم الأدباء (٦/ ٢٤٥٣)طبعة دار الغرب في ترجمة الطبري.

(٤) الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي ١/ ٤٣٧.

لا يترك؛ فاستعنت الله وابتدأت كتابة مقدمات موضوعية في أواسط المفصل، بأسلوبٍ مختصرٍ ميسرٍ لعلها تكون فاتحة لإكمال التفسير الموضوعي لبقية آخر جزء في كتاب الله تعالى وهو جزء عَمَّ، وذلك لكثرة قراءته وترداده بين الناس في الصلاة وغيرها، وقدمت بهذه المقدمات التي جمعت فيها أقوال المفسرين بمنهجية التفسير الموضوعي عن عموم سور أواسط المفصل.

ويبلغ عدد سور الجزء الأخير من القرآن الكريم سبعا وثلاثين سورة، كلها مكية، سوى سورتي «البينة والنصر» وكلها تمتاز بقصرها، على تفاوتٍ في هذا القصر، ومعظمها مشتملٌ على إقامة الأدلة على وحدانية اللهّ تعالى، وعلى أن هذا القرآن حقٌّ من عند اللهّ. وعلى صدق الرسول صلى الله عليه وسلم فيما يبلغه عن ربه، وعلى المقارنة بين حسن عاقبة الأخيار، وسوء عاقبة الأشرار، وعلى التذكير المتكرر بأهوال يوم القيامة، وبأنه آتٍ لا ريب فيه، وعلى التحذير من الغفلة عن الاستعداد له، وعلى الإفاضة في بيان نعم اللهّ تعالى على الناس، وعلى بيان ما حل بالمكذبين السابقين من دمار. كل ذلك بأسلوبٍ بديعٍ معجزٍ، تخشع له القلوب، وتتأثر به النفوس، وتقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم[1].

وإني لآمل أن يكون هذا التفسير كالمصباح الذي يقصي ظلمة الجهل عن قارئ كلام الله جل وعلا. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عن أهمية التفسير: «وحاجة الأمة ماسة إلى فهم القرآن الذي هو حبل الله المتين والذكر الحكيم، والصراط المستقيم ...»[2].

أسأل الله جل في علاه، أن ينفعنا بما نقرأ، وأن يجعل أعمالنا صوابًا خالصة لوجهه الكريم إنه سميع مجيب، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

وبيان ذلك في النقاط التالية:

---

(١) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، سيد طنطاوي ١٥/ ٢٤٥.

(٢) مقدمة في أصول التفسير ص ٢٢ بشرح ابن عثيمين.

**أولاً: أهمية البحث:**

**أ- أهداف البحث:**

١) ربط المتلقي بكتاب الله، وتهيئته لحفظه والعمل بمقتضاه. (توحيد مصدر التلقي).

٢) إبراز منهج النبي ﷺ والسلف الصالح في تلقي القرآن والعمل به. (إتباع الأثر).

٣) تربية المتلقي وتزكيته بالقرآن الكريم. (إصلاح وتوجيه).

٤) بيان إعجاز القرآن الكريم وعظمته وشموليته، وحاجتنا إليه في كافة الميادين. (إيمان وتقدير).

٥) إبراز عظمة القرآن الكريم، وأثره في سعادة البشرية وهدايتها. (عظم الأثر).

٦) تحصين المتلقي وحلِّ مشكلاته من خلال المنهج القرآني. (وقاية وعلاج).

٧) نشر مقاصد القرآن السامية عبر منهجية سهلة ميسرة. (دعوة وتعريف).

**ب- أسباب ومناسبات:**

١- العناية بقصار المفصل بسبب كثرة قراءتها في الفرائض، وحفظ الكثير من الناس لها، مع الجهل الموجود ببعض مفرداتها ومعانيها.

٢- أن هذه السور يبتدئ بها العوامُّ، وطالبُ العلم أولَ أمره، ولا يستغني عنها طالب العلم، فناسب دراستها بأسلوبٍ موضوعي ميسر، لتقرير المسلك إلى الله، وفتح باب التدبر في كلامه.

٣- كثرة تردد هذه السور على المسامع، مع عظم ما تضمنته من المعاني، والتي غالباً ما نغفل عنها، فأحببنا ربط المُعَلِّم، والمتعلم في بداية مشواره؛ بمعانيها العظيمة.

٤- أن هذه السور في غالبها مكِّيةٌ، تعالج قضايا اعتقاديةً كليةً، لا ينبغي التفريط فيها ولا إغفالها؛ لاسيما من الدعاة إلى الله.

٥- اشتمال هذه السور إجمالاً على جانب الوعظ وربط القلوب بالله تعالى والتذكير بالمنعم.

٦- العناية بتفسيرها من شأن طلاب العلم والدعاة إلى الله والمربين، فهي جديرة بالتدارس في البيت والعائلة والمسجد وحلقات تحفيظ القرآن ...الخ.

### ج- ثانياً: منهجية البحث:

سلكت في تسطير وصياغة البحث المتواضع- وأسأل الله تعالى أن ينفع به- المنهج العلمي التالي:

- سلكت أ سلوب ومنهجية التفسير المو ضوعي بنوعه المشهور "تتبع المعنى المذكور في الآيات ودراستها وتفسيرها، مع مراعاة شروط المفسر أثناء عرض الموضوع".
- سلكت أسلوب المقالة العلمية في صياغة البحث "لأنه ذو طابع وعظي تذكيري"، مع المحافظة على نصوص الأئمة المنقولة، وذلك قدر جهدي.
- التزمت ما ذكره العلماء المشتهرون في الفن في معنى الآيات على الوجه الأرجح، معر ضاً عن ذكر الخلاف في ذلك- ما أمكن- بناء على منهجية هذا النوع من التفسير.
- ما صغته من المعاني فهو ممّا فهمته من جرد كتب التفسير وما يخدمه عامّة.
- كل معنى أو أسلوب ذكرته أو استشهدت به فعلى المعنى الذي ذكره العلماء، بإجمال مني وصياغة تقتضيها منهجية المقالة العلمية الموضوعية.
- تناولت الموضـوعات المذكورة في أواسـط المفصـل، مع التقيد بالانطلاق مما ذكره أهل التفسير ورجعت إلى مراجع أخرى تخدم الموضوع الذي تتحدث عنه الآيات.
- حاولت أن تكون خطوات وخطة البحث موافقةً لما اتفق عليه أهل فن التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، واستلهاماً ممّا سلكه الشيخ العلامة عبدالرحمن بن ناصر السعدي في كتابيه: (تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن) و (فتح الرحيم الملك العلام)، وإني لأرجو أن أكون وفقت لذلك.
- حرصت على اعتماد الروايات الصحيحة في دلالات الآيات وفي أسباب النزول، قدر الإمكان.
- التزمت الا ستشهاد في السنة بالأحاديث الصحيحة فقط، واعتمدت على حكم الشيخ الألباني رحمه الله، وعلماء الحديث، وما لم أجد حكمها اكتفيت بذكر مصدرها فقط.
- حرصت على شمول البحث سبيل الإجمال والإيجاز، مع تسهيل الفكرة والعبارة.

**ثالثاً: خطة البحث:**

اشتمل البحث على: مقدمة وخمسة مباحث، وخاتمة، وفهارس.

**المقدمة:** وتضمنت التعريف بالموضوع، وأهميته وأسباب اختياره، وخطة ومنهج البحث.

**المبحث الأول:** مقدمة موجزة عن المفصل.

**المبحث الثاني:** مقدمة موجزة عن أواسط المفصل.

**المبحث الثالث:** الموضوعات المشتركة في سور أواسط المفصَّل.

**المبحث الرابع:** الخصائص الأسلوبية والموضوعية في سور أواسط المفصَّل.

**المبحث الخامس:** الأساليب المشتركة في سور أواسط المفصَّل.

**الخاتمة.**

**ثبت المصادر.**

والله الموفِّق والهادي إلى سَواءِ السَّبيل، وهو وحدَه القادرُ على أن يَهبَنا عزيمةَ الرُّشد، والثباتَ في الأمر، وأن يرزقَنا الإخلاصَ لوجهِه الكريم، والصوابَ في صالح القول والعمل، وأن يكتبَ له القَبول، وأن يذخرَ به الأجرَ والثّوابَ.

أسأل الله سبحانه أن ينفع بهذا العمل، وأن يجعله حجة لنا لا علينا، وأن يلهمنا العلم النافع والعمل الصالح، وأن يجبر تقصيري في هذا البحث، وأن يغفر ما كان فيه من خطأٍ وزلل، وأن يبارك في الطيب منه.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين.

والله أعلم

**مقدمات عن المفصل:**

**المبحث الأول: مقدمة موجزة عن المفصل:**

١. تعريف المفصل.

٢. البدء بالمفصل في العلم والحفظ.

٣. كثرة قراءة النبي ﷺ لها في الصلاة الجهرية.

٤. أهميتها للتدبر والاتعاظ بها.

٥. الحكمة من التدرج.

٦. صفة قراءته للمفصل في الصلاة.

٧. أوجه التناسب بين قصار السور عموماً.

**المبحث الثاني: مقدمة موجزة عن أواسط المفصل:**

١) تقسيم المفصل وأثر ذلك.

٢) ما يقرأ من المفصل في الصلوات الخمس.

**المبحث الثالث: الموضوعات المشتركة في سور أواسط المفصَّل:**

أ. يوم القيامة.

ب. الإيمان.

ج. الرسالة والرسول.

د. القرآن.

ه. قصص السابقين.

**المبحث الرابع: الخصائص الأسلوبية والموضوعية في سور أواسط المفصَّل:**

أ- الخصائص الأسلوبية.

ب-الخصائص الموضوعية في التعبير.

ج- قوة الأسلوب الموضوعي، مع قوة البلاغة واللفظ.

**المبحث الخامس: الأساليب المشتركة:**

١) أسلوب الوعظ والتذكير.

٢) أسلوب التهديد.

٣) أسلوب الوعيد.

٤) أسلوب التدبر والاعتبار.

٥) أسلوب الوعد.

٦) أسلوب التوكيد.

٧) أسلوب التكرار.

٨) أسلوب التنويع.

٩) أسلوب القسم.

١٠) أسلوب الخطاب.

١١) أسلوب التقسيم.

## المبحث الأول:

## مقدمة موجزة عن المفصل

١. **تعريف المفصل:**

تنقسم سور القرآن إلى أقسام، فعن واثلة بن الأسقع الليثي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أعطيت مكان التوراة السبع وأعطيت مكان الزبور المئين وأعطيت مكان الإنجيل المثاني وفُضِّلْتُ بالمفصل)[١]، وعن ابن عبَّاس رضي الله عنهما: أَن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (أَعْطَيْت السُّورَة الَّتِي ذكرت فِيهَا الْأَنْعَام من الذّكر الأول، وَأعطيت طه والطواسيم من ألواح مُوسى، وأعطيت فواتح القُرآن وخواتيم البقرة من تحت العَرش، وأعطيت المفصل نَافِلَة)[٢].

**ويقصد بالسبع:** السور السبع الطوال من البقرة حتى الأنفال والتوبة. والمئين: هي السور التي يكون عدد آياتها مائة آية فأكثر. والمثاني: وهي التي أقل من مائة آية.

**وأمّا المفصل:** فهو ما وليَ المثاني من قصار السور[٣].

---

(١) أخرجه الإمام أحمد ٤/ ١٠٧ (١٧٠٢٣)، والطيالسي ١/ ١٣٦ (١٠١٢)، والطبراني في الكبير ٨/ ٢٥٨ (٨٠٠٣) و٢٢/ ٧٦ (١٨٦)، وفي الشاميين ٤/ ٦٢ (٢٧٣٤)، والبيهقي في شعب الإيمان ٢/ ٤٦٥، والمنذري في الترغيب والترهيب وحسنه الألباني في صحيح الترغيب (١٤٥٧) وصححه بمجموع طرقه في السلسلة الصحيحة (١٤٨٠) وصحيح الجامع (١٠٥٩).

(٢) أخرجه ابن مرْدَوَيْه كما في الدر المنثور ٥/ ٥٤٨. وبلفظ آخر (البقرة -بدل= الأنعام) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٤/ ١٠٤ (٢٢٤٩)، والمروزي في مختصر قيام الليل ص٢٤٦ (١٩١)، والموصلي كما في إتحاف المهرة٦/ ١٠٤ (٥٩٢٤)، والحاكم في المستدرك ١/ ٧٥٧ (٢٠٨٧) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه وتعقبه الذهبي، والطبراني في الكبير ٢٠/ ٢٢٠، (٥١٢)، و٢٠/ ٢٢٥ (٥٢٥). والبغوي في معالم التنزيل، ٥/ ٢٥٩. وضعفه الألباني في الضعيفة (٢٨٢٦) وضعيف الجامع (٩٥٠).

(٣) بيَّن الإمام البقاعي وجه تسمية هذا الحزب من القرآن الكريم بالمفصل وما قبله بالمثاني بأن ذلك من وجهين: "الأول: أنّ المفصّل أوّل لقبٍ جامع للسور باعتبار القراءة. وفوقه المثاني، ثُمّ المئون، ثُمّ الطول. فالمثاني: ثانية له

سُـميَّ بذلك لكثرة الفصـول التي بين السـور بالبسـملة وقِصَر سـوره[1]. قال الطبري: " وأمَّا الـمُفَصَّلُ، فَإِنَّهَا سُمِّيَتْ مُفَصَّلًا، لِكَثْرَةِ الْفُصُولِ الَّتِي بَيْنَ سِوَرِهَا بِبِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ"[2]. قال خالد الحذاء: كانوا يسمون المفصل: العربي. قال خالد: قال بعضهم: ليس في العربي سجدة[3].

{وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتابَ مُفَصَّلاً} [الأنعام ١١٤] و «المفصل»: المبين الذي بان فيه الحق من الباطل، والأمر من النهي، والحلال من الحرام[4].

**وقيل:** لقلة المنسوخ منه. ولهذا يُسمىٰ بالمحكم أيضاً، فعن سعيد بن جبير قال: إن الذي تدعونه المفصَّل هو الـمُحْكَم، قال: وقال ابن عباس رضي الله عنهما: توفي رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم وأنا ابن عشر سنين وقد قرأت المحكم[5]. وعنه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: جمعت المحكم في عهد النبي صلىٰ الله عليه وسلم. فقلت له: وما المحكم؟ قال: "المفصَّل"[6].

قال الحسن البصري: إن الله أودع علوم الكتب السابقة في القرآن، ثم أودع علوم القرآن في المفصل، ثم أودع علوم المفصل في الفاتحة، فمن علم تفسيرها كان كمن علم تفسير جميع الكتب المنزلة[7].

**٢. البدء بالمفصل في العلم والحفظ:**

عن ابن مسعود رضي اللهّ عنه قال: (نزلت الـمُفصَّل بِمَكَّة فمكثنَا حِجَجًا نقرأوه لا ينزل

---

حقيقة وما هي ثانية للمئين، إلا أنَّا ألفينا البداءة بالطُّولِ من الطرف الآخر.

الثاني: أنّها لمَّا زادت علىٰ المفصّل كانت قسمة السورة منها في ركعتين من الصلاة كقراءة سورتين من المفصّل، فكانت مثاني، لتثنيتها في مجموع الصلاة باعتبار قراءة بعضها في كلّ من الركعتين". نظم الدرر ٨/ ٣٥٧-٣٥٨.

(١) فتاوىٰ نور علىٰ الدرب – ابن عثيمين- ١٩/ ١١٥.

(٢) جامع البيان ١/ ١٠٤ ط. شاكر.

(٣) جامع البيان ١/ ١٠٤ قال أحمد شاكر: هذا خبر مرسل عن أبي قلابة.

(٤) زاد المسير ٢/ ٦٩.

(٥) أخرجه البخاري كتاب فضائل القرآن باب صبيان القرآن رقم (٥٠٣٥).

(٦) أخرجه البخاري كتاب فضائل القرآن باب صبيان القرآن رقم (٥٠٣٦) ، وانظر: فتح الباري ٩/ ٨٣ .

(٧) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٢/ ٤٥٠ (٢٣٧١)، والثعلبي في الكشف والبيان ١/ ٩١.

غيره)[1].

وعن البراء بن عازب رضي اللّه عنهما قال: (أوّل من قدم علينا مصعب بن عمير وابن أمّ مكتوم، وكانوا يقرؤون النّاس[2]، فقدم بلال وسعد وعمّار بن ياسر، ثمّ قدم عمر بن الخطّاب في عشرين من أصحاب نبيّ اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم، ثمّ قدم النّبيّ صلّى اللّه عليه وسلّم فما رأيت أهل المدينة فرحوا بشيء فرحهم برسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم، حتّى جعل الإماء يقلن: قدم رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم، فما قدم حتّى قرأت ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾[الأعلى١] في سُوَرٍ من المفصّل»)[3]. وعن عاصم بن عمر بن الخطاب عن أبيه رضي الله عنهما أنه: كان يأمر بنيه بتعليم المفصل[4]. قال ابن كثير عند حديث ابن عباس رضي الله عنهما السابق: "فيه دلالة على جواز تعليم الصبيان القرآن؛ لأن ابن عباس أخبر عن سنِّه حيث موت النبي صلى الله عليه وسلم، وقد كان جمع المفصل وهو من الحجرات، وعمره إذ ذاك عشر سنين"[5]. فهذا ابن عباس رضي الله عنهم يفاخر أنه قرأ المفصل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو طفل صغير. فقد كان السلف الصالح لهذه الأمة من أشد الناس حرصاً على الاهتمام بكتاب الله تلاوة وتعليماً بعد سماعهم الأحاديث الدالة على الترغيب في تعلمه واستظهاره من نحو قوله صلى الله عليه وسلم: (خيركم

---

(١) أخرجه سعيد بن منصور (١٢٦)، وابن أبي شيبة في المصنف ١٠/ ٥٢٢ (١٠١٩٢). والطبراني في الأوسط (٦٣٤٤)، والحاكم في المستدرك ٢/ ٢٢٤ وقال على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي. وعزاه السيوطي السيوطي في الدر المنثور ١/ ٨٤ لعبد بن حميد.

(٢) وكانوا يقرئون الناس: هكذا وردت. ووجهها ابن حجر على أن أقل الجمع اثنان، وإما على أن من كان يقرأ بأنه كان يقرأ معها أيضا. وفي رواية الأصيلي وكريمة «فكانا يقرئان الناس» قال ابن حجر: وهو أوجه. انظر: فتح الباري ٧/ ٣٠٦.

(٣) أخرجه البخاري كتاب مناقب الأنصار باب مقدم النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه المدينة (٣٧١٠) وانظر: (٤٦٥٧، ٤٧٠٩).

(٤) تفسير القرآن من الجامع لابن وهب ١/ ١٤ (١٧).

(٥) فضائل القرآن لابن كثير ٢٢٥، وفتح الباري: ٩/ ٨٣ .

من تعلم القرآن وعلمه)[1]، فلا يُقَدِّمُون على تعلُّمه شيئاً من العلوم.

وعن أبي سعيد مولى بني أَسد قال: لما دخل المصريون على عُثْمَان رضي الله عنه والمصحف بين يديهِ فضربوه بالسَّيْفِ على يديهِ فوقعت يده على {فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم} فمد يده وقال: والله لإِنها أوّل يَدٍ خطت المفصَّل[2].

### ٣. كثرة قراءة النبي ﷺ لها في الصلاة الجهرية:

عن سليمان بن يسار عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: ما صليت وراء أحد أشبه صلاة برسول الله صلى الله عليه وسلم من فلان[3] قال سليمان: كان يطيل الركعتين من الظهر ويخفف الأخريين ويخفف العصر ويقرأ في المغرب بقصار المفصل ويقرأ في العشاء بوسط المفصل ويقرأ في الصبح بطوال المفصل[4].

وعن عمرو بن شُعَيب عن أَبِيه عن جده قال: "مَا من المفصل سُورَة صَغِيرَة وَلَا كَبِيرَة إِلَّا وَسمعت رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم يؤم بهَا النَّاس فِي الصَّلَاة الْمَكْتُوبَة"[5].

قال ابن رجب: "فهذا يدل على إكثار النبي صلى الله عليه وسلم من قراءة سور المفصل في الصلوات

---

(١) أخرجه البخاري فضائل القرآن باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه (٥٠٢٧).

(٢) أخرجه ابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني ١/ ١٢٦ (١٣٢)، وابن عساكر ٣٩/ ٤١٤، والطبراني في الكبير ١/ ٨٤ (١١٩). قال الهيثمي في "المجمع" ٩/ ٩٤: إسناده حسن. وانظر: الدر المنثور ١/ ٣٣٩.

(٣) كان عمر بن عبدالعزيز أشبه الناس في زمانه صلاة برسول الله صلى الله عليه وسلم كما نص عليه في رواية الضياء في الأحاديث المختارة (٢١٤١) وحسَّن محققه إسنادها.

(٤) أخرجه النسائي في الكبرى باب طول القراءة وقصرها (٣٨١٨-٣٨١٩). وفي الصغرى كتاب الصلاة باب القراءة في المغرب (٩٨٣) وصححه النووي في المجموع ٣/ ٣٨٣، وابن تيمية في اقتضاء الصراط المستقيم ١/ ٣٢٠ وقال: إسناده على شرط مسلم، وصححه ابن عبدالهادي في المحرر ١١٣، والألباني في صحيح النسائي ٩٨٣.

(٥) أخرجه أبو داود في الصلاة، باب من رأى التخفيف في المغرب (٨١٤)، وإسناده حسن. والطبراني في الكبير ١٢/ ٣٦٦ (١٣٣٥٩)، والبيهقي في الكبرى ٢/ ٣٨٨ (٣٨١٩).

الجهريات الثلاث. قصارها، وطوالها، ومتوسطها، فإن كانَ يقرأ في الصبح بطول المفصل وفي المغرب بقصاره وفي العشاء بأوساطه؛ فهوَ موافق لحديث أبي هريرة وأنس رضي الله عنهما، وهذا هوَ الظاهر، وإن يقرأ بقصار سور المفصل في العشاء أو في الصبح، فقراءتها في المغرب أولى"[1]. وقال النووي: "ويستحب أن تكون السورة في الصبح والأوليين من الظهر من طوال المفصل، وفي العصر والعشاء من اوساطه، وفي المغرب من قصاره"[2]. وبمثله قال الفقهاء[3].

ومعرفة المفصل مهمة حتى نقتدي في صلاتنا برسولنا الحبيب صلى الله عليه وسلم -بأبي هو وأمي وروحي- ولذلك ينبغي على الإنسان وخصوصاً الأئمة أن يعرفوا هذا الأمر حتى يقرؤوا في صلاتهم بما كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في صلاته الجهرية والسرية.

"وإنما اختير المفصل، ليكون ذلك أسهل في حفظه على المأمومين، لأنه إذا تكرر عليهم المفصل حفظوه، .. الأفضل المحافظة على المفصل"[4]. "ومن الحكمة في الاستمرار بقراءة المفصل: أن المأمومين كلما تكررت عليهم السور حفظوها وسهل عليهم قراءتها".. و "إذا قرأ الإمام من السور القصيرة عرف المأموم المُبْتَدأ والمُنْتَهى فاطمأن"(٥) أي: في صلاته، وانصرف ذهنه للقرآن وتدبره.

---

(١) فتح الباري لابن رجب ٤/ ٤٣٣.

(٢) شرح مسلم للنووي ٤/ ١٠٦، و٤/ ١٧٤.

(٣) طوال المفصَّل في الفجر باتفاق الفقهاء، وفي الظهر أيضاً عند المالكية والحنفية والشافعية، أما عند الحنابلة فمن أوساط المفصل، وفي العصر والعشاء من أوساط المفصل، وفي المغرب من قصاره باتفاق. وأنظر: حاشية ابن عابدين ١/ ٣٦٢، وتبيين الحقائق ١/ ١٢٩، وحاشية الدسوقي ١/ ٢٤٢، ٢٤٧، ومغني المحتاج ١/ ١٦١، وشرح روض الطالب ١/ ١٥٤، والمجموعة ٣/ ٣٨٢، وكشاف القناع ١/ ٣٤٢، ومطالب أولي النهى ١/ ٤٣٥. والفقه الإسلامي وأدلته ٢/ ٧٤، والفقه على المذاهب الأربعة ١/ ٣٠٣، والموسوعة الفقهية الكويتية ٢٧/ ٨٩-٩٠، نور الإيضاح ونجاة الأرواح لأبي الإخلاص حسن الوفائي الشرنبلالي ص٤٦.

(٤) الشرح الممتع ١/ ١٨ وذكر في الحاشية عن الشيخ في الدرس التالي قوله: بأنَّ ذلك "على سبيل الاستحباب".

(٥) فتاوى نور على الدرب، ابن عثيمين ١٩/ ١١٥.

٤. أهميتها للتدبر والاتعاظ بها:

والمفصل مهمةٌ من جهة التدبر والتكرار والتجديد في قراءتها كما كان النبي صلى الله عليه وسلم وسلفنا الصالح يفعلون، فيخالفون ذلك أحياناً، قال ابن القيم: "المحافظة فيها على الآية القصيرة والسورة من قصار المفصل خلاف السنة "(١).

وعَن أبي بكر الصّديق رَضِي الله عَنهُ قَالَ: قلت: يَا رَسُول الله لقد أسْرع إِلَيْك الشيب قَالَ: (شيبتني هود والواقعة والمرسلات وَعم يتسألون وَإِذا الشَّمْس كورت). وعن أنس رضي الله عنه عن أبي بكر الصّديق رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله عجل إِلَيك الشيب؟ قال: (شيبتني هود وأخوَاتها، والواقعة، والحاقة، وعمَّ يتسألون، وهل أَتَاك حَدِيث الغاشية). وعن أنس رضي الله عنه عن أبي بكر رضي الله عنه أَنه قال: مَا شيب رَأسك يَا رَسُول الله؟ قال: (هود وأخواتها شيبتني قبل المشيب). قال: وما أخواتها؟ قال: (إِذا وقعت الواقعة، وعمَّ يتسألون، وإِذا الشَّمْس كورت). وعن أنس رضي الله عنه قال: قال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: لقد عجَّل إليك الشيب؟ قال: (شيبتني هود وأخواتها من المفصل)(٢).

والمعنى: أن اهتمامي بما في هذه السور من أهوال يوم القيامة، وأحوالها والوقائع النازلة بالأمم استعجلت شيبي قبل أوانه.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: "إِن لكل شَيْءٍ لباباً، وَإِن لباب الْقُرْآن المفصل "(٣).

---

(١) زاد المعاد ١/ ٢٠٣.

(٢) أخرجها سعيد بن منصور (١١٠٩)، والمستغفري في فضائل القرآن (٨٠٩)، وابن مردويه في تفسيره كما في تخريج الكشاف للزيلعي ٢/ ١٤٩-١٥٠، وعزاه له في الدر المنثور ٤/ ٣٩٧، قال الألباني: صحيح، السلسلة الصحيحة (٩٥٥)، وصحيح الجامع (٣٧٢٠).

(٣) أخرجه الدارمي (٣٣٧٧)، والطبراني في الكبير (٨٦٤٤)، والبيهقي في الشعب (٢٢٥٨)، وابن منده في الرد على من يقول الم حرف (١٢)، والمستغفري في فضائل القرآن (٩٠٤)، وابن الضريس في فضائل القرآن (١٧٢)، انظر: الصَّحيحة (٥٨٨)، وهداية الرواة: (٢١٢٠).

**٥- الحكمة من التدرج:**

تضمن المفصل الحكمة من التدرج في التشريع قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: ".. إنما نزل أوَّل ما نزل منه -أي: القرآن- سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام. ولو نزل أول شيء: لا تشربوا الخمر، لقالوا: لا ندع الخمر أبداً. ولو نزل: لا تزنوا، لقالوا: لا ندع الزنا أبدًا"(١).

وقد بيَّن ابن حجر رحمه الله في شرحه لهذا الحديث الحكمة من هذا التدرُّج فقال: "أشارت إلى الحكمة الإلهية في ترتيب النزول، وأن أول ما نزل من القرآن الدعاء إلى التوحيد، والتبشير للمؤمن والمطيع بالجنة، وللكافر والعاصي بالنار، فلما اطمأنت النفوس على ذلك أنزلت الأحكام، ولهذا قالت: (ولو نزل أول شيء لا تشربوا الخمر لقالوا لا ندعها) وذلك لما طبعت عليه النفوس من النفرة عن ترك المألوف(٢).

والنظر في أسباب التنزيل فإنها تبين كثيرا من المواضع التي يختلف مغزاها على الناظر، غير أن الكلام المنظور فيه، تارة يكون واحدا بكل اعتبار، بمعنى أنه أنزل في قضية واحدة، طالت أو قصرت؛ وعليه أكثر سور المفصل(٣).

**٦- صفة قراءته للمفصل في الصلاة:**

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رجلا قال له: إني أقرأ المفصل في ركعة واحدة. فقال: (هَذًّا كَهَذِّ الشعر؟!! إن قوما يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم! ولكن إذا وقع في القلب فرسخ فيه نفع)(٤).

قال النووي: "لا بأس بالجمع بين سورتين في ركعة واحدة فقد ثبت في الصحيحين من حديث

---

(١) أخرجه البخاري كتاب فضائل القرآن باب تأليف القرآن (٤٧٠٧).

(٢) فتح الباري ١٠/ ٤٨.

(٣) محاسن التأويل ١/ ٩٤.

(٤) أخرجه مسلم كتاب صلاة المسافرين، باب ترتيل القرآن.. وإباحة سورتين فأكثر في كل ركعة (٨٢٢)، والبخاري كتاب صفة الصلاة، باب الجمع بين السورتين في الركعة (٧٧٥).

عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: لقد عرفت النظائر التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرن بينهن فذكر عشرين سورة من المفصل كل سورتين في ركعة."(١).

عن أبي وائل قال: غدونا على عبدالله بن مسعود رضي الله عنه فقال رجل: قرأت المفصّل البارحة. فقال: (هَذًّا كَهَذِّ الشّعر!! إنّا قد سمعنا القراءة وإنّي لأحفظ القرناء الّتي كان يقرأ بهنّ النّبيّ صلّى اللّه عليه وسلّم: ثماني عشرة سورة من المفصّل وسورتين من آل حم)(٢). وجاء في بعض الروايات أن الرجل قرأ المفصل في ركعة، وفي رواية لأبي داود سرد فيها السور النظائر فقال: (كان يقرأ النظائر السورتين في ركعة، الرحمن والنجم في ركعة، واقتربت والحاقة في ركعة، والذاريات والطور في ركعة، والواقعة ونون في ركعة، وسأل والنازعات في ركعة، وويل للمطففين وعبس في ركعة، والمدثر والمزمل في ركعة، وهل أتى ولا أقسم في ركعة، وعم يتساءلون والمرسلات في ركعة، وإذا الشمس كورت والدخان في ركعة)(٣).

وذهب قوم إلى أن المفصل ليس فيه سجود، يروى عن أبيّ بن كعب وابن عباس رضي الله عنهم، وبه قال مالك، وعن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: أقرأني رسول الله صلى الله عليه وسلم في القرآن خمس عشرة سجدة؛ منها ثلاث في المفصل(٤)، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (سجد رسول اللّه صلى الله عليه وسلم في: (إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ) وَ (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ)(٥).

---

(١) التبيان في آداب حملة القرآن ص٥٨.

(٢) أخرجه البخاري كتاب فضائل القرآن، باب وما يكره أن يهذ كهذّ الشعر (٤٧٥٦). ومسلم كتاب صلاة المسافرين، باب ترتيل القرآن.. وإباحة سورتين فأكثر في ركعة(٧٢٢) من حديث طويل. والقرناء: السور التي كان يقرنها رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم ببعضها في قراءته.

(٣) أخرجه بهذا اللفظ أبو داود كتاب الصلاة باب تحزيب القرآن (١٣٩٦)، وضعفه الألباني، ولكن ذكر اتصاله ابن حجر في الفتح ٣/ ٢٥٩ وذكر رواياته وألفاظها عند الطبراني وغيره، ووجه ذلك.

(٤) أخرجه أبو داود في السجود باب تفريع أبواب السجود وكم سجدة في القرآن، (١٤٠١). وابن ماجه كتاب إقامة الصلاة، باب عدد سجود القرآن (١٠٥٧)، قال النووي في الخلاصة ٢/ ٦٣٠ (٢١٣٣): إسناده حسن.

(٥) أخرجه مسلم في المساجد، باب سجود التلاوة (٥٧٨)، وأبو داود في الصلاة، باب السجود في {إذا السماء

### ٧- أوجه التناسب بين قصار السور عموماً

قال ابن تيمية رحمة الله عليه: "فصلٌ: السور القصار في أواخر المصحف متناسبةٌ.

فسورة ﴿ٱقۡرَأۡ﴾ هي أول ما نزل من القرآن، ولهذا افتتحت بالأمر بالقراءة، وختمت بالأمر بالسجود، ووسطت بالصلاة التي أفضل أقوالها وأولها بعد التحريم هو القراءة، وأفضل أفعالها وآخرها قبل التحليل هو السجود. ولهذا لما أمر بأن يقرأ. وأنزل عليه بعدها المدثر لأجل التبليغ فقيل له: ﴿قُمۡ فَأَنذِرۡ﴾ فبالأولى صار نبيا. وبالثانية صار رسولاً. ولهذا خوطب بالمتدثر -وهو المتدفئ من برد الرعب، والفزع الحاصل بعظمة ما دهمه- لما رجع إلى خديجة ترجف بوادره، وقال: دثروني دثروني(١). فكأنه نُهِيَ عن الإستدفاء، وأُمر بالقيام للإنذار. كما خوطب في المزمل وهو المتلفف للنوم لما أمر بالقيام إلى الصلاة.

فلما أمر في هذه السورة بالقراءة ذُكر في التي تليها نزول القرآن ليلة القدر، وذكر فيها تنزل الملائكة والروح، وفي المعارج: عروج الملائكة والروح، وفي النبأ قيام الملائكة والروح، فذكر الصعود والنزول والقيام.

ثم في التي تليها تلاوته على المنذرين حيث قال: ﴿رَسُولٞ مِّنَ ٱللَّهِ يَتۡلُواْ صُحُفٗا مُّطَهَّرَةٞ ۝٢ فِيهَا كُتُبٞ قَيِّمَةٞ﴾ فهذه السور الثلاث منتظمة للقرآن أمرا به و ذكرا لنزوله و لتلاوة الرسول له على المنذرين.

ثم سورة الزلزلة والعاديات والقارعة والتكاثر؛ متضمنة لذكر اليوم الآخر وما فيه من الثواب والعقاب، وكل واحد من القرآن واليوم الآخر قيل: هو ﴿ٱلنَّبَإِ ٱلۡعَظِيمِ﴾.

---

انشقت} و {اقرأ} (١٤٠٧)، والترمذي في الصلاة، باب ما جاء في السجدة في {اقرأ باسم ربك الذي خلق} و {إذا السماء انشقت} (٥٧٣- ٥٧٤)، والنسائي في الافتتاح، باب السجود في {إذا السماء انشقت}، وباب السجود في {اقرأ باسم ربك}.

(١) يشير إلى حديث بدء الوحي وسيأتي في تفسير سورة العلق، أخرجه البخاري كتاب بدء الوحي باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣)، ومسلم كتاب الإيمان باب بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم (١٦٠).

ثم سورة العصر والهمزة والفيل و ﴿لِإِيلَٰفِ﴾ و ﴿أَرَءَيْتَ﴾ والكوثر والكافرون والنصر و ﴿تَبَّتْ﴾ متضمنة لذكر الأعمال، حسنها وسيئها، وإن كان لكل سورة خاصةٌ.

وأما سورة الإخلاص والمعوذتان؛ ففي الإخلاص: الثناء على الله، وفي المعوذتين: دعاء العبد ربه ليعيذه. والثناء مقرون بالدعاء كما قرن بينهما في أم القرآن المقسومة بين الرب والعبد نصفها ثناء للرب ونصفها دعاء للعبد[1]. والمناسبة في ذلك ظاهرة؛ فإن أول الإيمان بالرسول: الإيمان بما جاء به من الرسالة، وهو القرآن، ثم الإيمان بمقصود ذلك وغايته وهو ما ينتهي الأمر إليه من النعيم والعذاب، وهو الجزاء، ثم معرفة طريق المقصود وسببه، وهو الأعمال؛ خيرها ليفعل، وشرها ليترك.

ثم ختم المصحف بحقيقة الإيمان، وهو ذكر الله ودعاؤه، كما بنيت عليه أم القرآن، فإن حقيقة الإنسان المعنوية: هو المنطق. والمنطق قسمان: خبر وإنشاء، وأفضل الخبر وأنفعه وأوجبه ما كان خبرا عن الله كنصف الفاتحة وسورة الإخلاص، وأفضل الإنشاء -الذي هو الطلب- وأنفعه وأوجبه ما كان طلبا من الله كالنصف الثاني من الفاتحة والمعوذتين" أ.هـ[2].

---

(١) يشير إلى حديث (قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ولعبدي ما سأل) أخرجه مسلم كتاب الصلاة باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة (٣٩٥).

(٢) مجموع الفتاوى ١٦/ ٤٧٧.

## المبحث الثاني:

## مقدمة موجزة عن أواسط المفصل:

١) **تقسيم المفصل وأثر ذلك:**

"وللمفصل طِوَال وأوساط وقِصَار؛ فطِوَالُه إلى عَمَّ، وأوساطه منها إلى الضُحَى، ومنها إلى آخر القرآن قِصَاره، وهذا أقرب ما قيل فيه"[١]. واختلف الفقهاء في المفصل:

فذهب الحنفية: إلى أن طوال المفصل من (الحجرات) إلى (البروج)، والأوساط منها إلى (لم يكن)، والقصار منها إلى آخر القرآن.

وعند المالكية: طوال المفصل من (الحجرات) إلى (النازعات)، وأوساطه من (عبس) إلى (الضحى)، وقصاره من (الضحى) إلى آخر القرآن.

وقال الشافعية: طوال المفصل كالحجرات واقتربت والرحمن، وأوساطه كالشمس وضحاها والليل إذا يغشى، وقصاره كالعصر وقل هو الله أحد.

وذهب الحنابلة: إلى أن أول المفصل سورة ق، لحديث أوس بن حذيفة قال: "سألت أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يحزبون القرآن؟ قالوا: ثلاث، وخمس، وسبع، وتسع، وإحدى عشرة، وثلاث عشرة، وحزب المفصل وحده"[٢]، قالوا: وهذا يقتضي أن أول المفصل السورة التاسعة والأربعون من أول البقرة لا من الفاتحة. وآخر طواله سورة عم، وأوساطه منها للضحى، وقصاره منها لآخر القرآن[٣].

قال حرب قلت لأحمد: الرجل يقرأ على التأليف في الصلاة، اليوم سورة وغدا التي تليها؟ قال:

---

(١) انظر: الإتقان ١/ ١٧٩-١٨١. مختصراً.

(٢) حديث أوس بن حذيفة: سألت أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم. أخرجه أبو داود ٢/ ١١٦.

(٣) حاشية ابن عابدين ١/ ٣٦٢، وتبيين الحقائق ١/ ١٢٩، وحاشية الدسوقي ١/ ٢٤٢، ٢٤٧، والخرشي على خليل ١/ ٢٧٤، وشرح روض الطالب ١/ ١٥٤، ومغني المحتاج ١/ ١٦١، وكشاف القناع ١/ ٣٤٢، ومطالب أولي النهى ١/ ٤٣٥-٤٣٦، الموسوعة الفقهية ٣٣/ ٤٨-٤٩.

ليس في هذا شيء، إلا أنه روي عن عثمان رضي الله عنه أنه فعل ذلك في المفصل وحده[1].

وذهب الحنفية إلى أن فرض القيام وواجبه ومسنونه ومندوبه لقادر عليه وعلى السجود يكون بقدر القراءة المطلوبة فيه، وهو بقدر آية فرض، وبقدر الفاتحة وسورة واجب، وبطوال المفصل وأوساطه وقصاره في محالها المطلوبة مسنونٌ، والزيادة على ذلك في نحو تهجد مندوبٌ، فلو قدر المصلي على القيام دون السجود، ندب إيماؤه قاعداً، لقربه من السجود، وجاز إيماؤه قائما[2].

٢) **<u>ما يقرأ من المفصل في الصلوات الخمس:</u>**

اتفق الفقهاء على أنه يسن للمصلي أن يقرأ في صلاة الصبح بطوال المفصل، كما اتفقوا على أنه يقرأ في المغرب بقصار المفصل، وفي العشاء بأوساطه. واختلفوا في الظهر والعصر على أقوال[3].

"وقد اتفق الفقهاء – الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة – على أنه يسن للمصلي أن يقرأ في صلاة الصبح بطوال المفصل. لحديث جابر بن سمرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في الفجر بـ {ق والقرآن المجيد} ونحوها، وكانت صلاته بعد تخفيفا[4].

وهو مذهب الحنفية في الظهر فيسن عندهم للمصلي أن يقرأ في الظهر بطوال المفصل؛ لحديث أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في صلاة الظهر في الركعتين الأوليين في كل ركعة قدر ثلاثين[5].

وذهب المالكية والشافعية إلى أن القراءة في الظهر تكون دون قراءة الفجر قليلا.

قال الدسوقي: يقرأ في الصبح من أطول طوال المفصل، وفي الظهر من أقصر طوال المفصل.

وذهب الحنابلة إلى أنه يقرأ في الظهر من أوساط المفصل؛ لما روي أن عمر رضي الله عنه كتب إلى

---

(١) كشاف القناع ١/ ٣٧٥، والموسوعة الفقهية ٣٣/ ٥٠.

(٢) الدر المختار ورد المحتار ١/ ٤١٤– ٤١٥، ٤٢٢، والموسوعة الفقهية ٣٤/ ١٠٧.

(٣) الموسوعة الفقهية ٣٨/ ٢٦٣–٢٦٥.

(٤) أخرجه مسلم كتاب الصلاة باب القراءة في الصبح (٤٥٨).

(٥) أخرجه مسلم كتاب الصلاة باب القراءة في الظهر والعصر (٤٥٢).

أبي موسىٰ رضي الله عنه: " أن اقرأ في الصبح بطوال المفصل، واقرأ في الظهر بأوساط المفصل، واقرأ في المغرب بقصار المفصل.

وأما صلاة العصر، فذهب الحنفية والشافعية والحنابلة إلىٰ أنه يقرأ فيها بأوساط المفصل. وقال المالكية: يقرأ فيها بقصار المفصل.

واتفقوا علىٰ أنه يقرأ في المغرب بقصار المفصل وفي العشاء بأوساطه.

وكان صلىٰ الله عليه وسلم يقرأ في الركعتين الأوليين من صلاة العشاء من وسط المفصّل[1]، فـ "كان تارة يقرأ بـ {الشمس وضحاها} وأشباهِها من السور"[2]. و"تارة بـ {إِذا السّماءُ انشقت}، وكان يسجد بها"[3].

لما روىٰ سليمان بن يسار عن أبي هريرة قال: ما صليت وراء أحد أشبه صلاة برسول الله صلىٰ الله عليه وسلم من فلان. قال سليمان: كان يطيل الركعتين الأوليين في الظهر، ويخفف الأخريين، ويخفف العصر، ويقرأ في المغرب بقصار المفصل، ويقرأ في العشاء بأوساط المفصل، ويقرأ في الصبح بطوال المفصل[4]"[5].

---

(١) أخرجه النسائي كتاب الافتتاح باب القراءة في المغرب بقصار المفصل (٩٨٢)، وأحمد (٨٣٦٦، ٧٩٩١) بسند صحيح.

(٢) أخرجه النسائي كتاب الافتتاح باب القراءة في العشاء الآخرة بالشمس وضحاها (٩٨٣ و٩٩٩)، وأحمد (١٠٨٨٢، ٢٢٩٩٤) بسند صحيح، والترمذي أبواب الصلاة باب القراءة في صلاة العشاء (٣٠٩) وحسنه.

(٣) أخرجه البخاري كتاب صفة الصلاة باب الجهر في العشاء (٧٣٢و٧٣٤، ١٠٢٤، ١٠٢٨)، ومسلم كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب سجود التلاوة (٥٧٨).

(٤) أخرجه النسائي كتاب الافتتاح باب القراءة في المغرب بقصار المفصل (٩٨٢).

(٥) الموسوعة الفقهية ٢٧/ ٨٩-٩٠.

## المبحث الثالث:

## الموضوعات المشتركة في سور أواسط المفصَّل:

الموضوعات المشتركة في سور أواسط المفصَّلِ من المباحث الجليلة التي ينبغي تدبرها والوقوف عندها، فالتكرار – ولاسيما إذا لم يكن بلفظه؛ فهو تأكيدٌ للمعاني وتعظيمٌ لها، وتصريف للقول بها، ليستيقنها السامع، وتبلغه حجة الله على خلقه، وتعالج كل دخلٍ أو مرضٍ أو شبهةٍ قد يخالجه بها الشيطان، مثل:

١ – الدعوة إلى أصول العقائد كالإيمان بالله واليوم الآخر وتصوير الجنة والنار؛ لأنَّ غالب المخاطبين ينكرون ذلك، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُم يَومَ القِيَامَةِ تُبعَثُونَ﴾ [سورة المؤمنون: ١٦].

٢– الدعوة إلى التمسك بالأخلاق الكريمة، والتشريعات العامة التي لا تتغير بتغير الزمان والمكان.

٣– مجادلة المشركين وتسفيه أحلامهم، وتشنيع القبيح من عاداتهم بحجج دامغة وبراهين مقنعة. فكثير من الآيات المكية فيها فضحٌ لأعمال المشركين من سَفك الدماء، وأكل أموال اليتامى، ووأد البنات، مثل قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَقتُلُوا أَولادَكُم خَشيَةَ إملاقٍ نَّحنُ نَرزُقُهُم وَإِيَّاكُم﴾ [سورة الإسراء: ٣١].

٤– إنذار المشركين والكفار بما قص عليهم من أنباء الرسل مع أقوامهم بانتصار أهل الإيمان وإبادة أهل الكفر، فكثير من الآيات المكية فيها عرضٌ لقصص الأنبياء وتكذيبٌ لأقوامهم للعبرة، والزجر، ولتسلية الرسول صلى الله عليه وسلم.

**وسنقتصر على خمسة نماذج لموضوعات تكررت**: الآخرة، الإيمان، الرسالة، القرآن، قصص السابقين.

١ – أكثر الموضوعات المشتركة في العرض من خلال سور أواسط المفصل: يوم القيامة، وحال الناس فيه، وجزاءهم.

والمقصود: التهديد الشديد بيوم الوعيد الذي هو محط الرحال، لكونه أعظم مقام لظهور الجلال. ووعيد الذين يكذبون بيوم الجزاء والذين يكذبون بأن القرآن منزل من عند الله.

سورة النبأ نموذجٌ كاملٌ للتركيز على حقائق ومشاهد اليوم الآخر. ومثلها سورة النازعات.

وسورة عبس تحتوي مقدمتها إشارة إلى قصةٍ من قصص الدعوة، وبقية السورة حديث عن نشأة الحياة الإنسانية والحياة النباتية، ثم عن الصاخة: {يوم يفر المرء من أخيه، وأمه، وأبيه، وصاحبته وبنيه، لكل امرئٍ منهم يومئذ شأن يغنيه. وجوه يومئذ مسفرة. ضاحكة مستبشرة، ووجوه يومئذ عليها غبرة، ترهقها قترة}.

وسورة التكوير: توضح مشاهد القيامة، وما يحدث من الانقلاب الكوني الهائل في ذلك اليوم، مع عرض مشاهد كونية موحية في صدد القَسم على حقيقة الوحي وصدق الرسول ﷺ.

وسورة الانفطار: فيها عرض مشاهد الانقلاب مع مشاهد النعيم والعذاب، وهز الضمير البشري أمام هذه وتلك: {يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم..} الخ.

وسورة الانشقاق: تعرض مشاهد الانقلاب الكوني ومشاهد النعيم والعذاب بصورة وأحداثٍ أخرى.

وسورة البروج: تشمل إشارات سريعة حول مشاهد الكون في ذلك اليوم، مع إشارة إلى تعذيب الكفار لجماعة من المؤمنين في الدنيا بالنار، وعذاب الله لأولئك الكفار في الآخرة بالنار، وهو أشد وأنكى.

وسورة الطارق: تعرض مشاهد كونية، مع ذكر نشأة الإنسان، ونشأة النبات؛ ليأتي القسم بالجميع: {إنه لقول فصل، وما هو بالهزل}.

وسورة الأعلى: تتحدث عن الخلق والتسوية والتقدير والهداية، وإخراج المرعى وأطواره تمهيداً للحديث عن الذكر والآخرة والحساب والجزاء.

وسورة الغاشية: تقرِّب لنا صوراً لمشاهد النعيم والعذاب، ثم توجه إلى النظر إلى خلق الإبل والسماء والأرض والجبال.

وهكذا.. إلى نهاية جزء عمَّ باستثناء سورٍ قليلة كسورة الإخلاص، وسورة الكافرون، وسورة الماعون، وسورة العصر، وسورة القدر، وسورة النصر.

٢- ومن الموضوعات المشتركة؛ الإيمان:

- وقد جاء صريحا في سورة النبأ، وبه سُمِّيت السورة فقال تعالى: (عم يتساءلون عن النبأ

العظيم) ومما قيل في تفسير (النبأ العظيم) أنه الإيمان والتوحيد "وعجبوا أيضا أن جاءهم بالتوحيد كما قال: (أجعل الآلهة إلها واحدا إن هذا لشيء عجاب) [ص: ٥] فحكى الله تعالى عنهم مساءلة بعضهم بعضا على سبيل التعجب بقوله: (عم يتساءلون)"[1]، ومردُّ الأقوال كلها لهذا: القرآن، والرسول، واليوم الآخر. "والضمير في (يتساءلون) لكفار قريش، أو لجميع الناس ومعناه: يسأل بعضهم بعضا (عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ) هو ما جاءت به الشريعة من التوحيد والبعث والجزاء وغير ذلك"[2]، "أمره سبحانه أن يبالغ في إنذارهم، ويبين لهم عظم الأمر، وجلالته فقال: قل هو نبأ عظيم أي: ما أنذرتكم به من العقاب، وما بينته لكم من التوحيد: هو خبر عظيم، ونبأ جليل، من شأنه العناية به، والتعظيم له، وعدم الاستخفاف به، ومثل هذه الآية قوله: (عم يتساءلون عن النبإ العظيم)"[3]، "وإنما كان ذلك النبأ، عظيما لأنه ينبئ عن التوحيد وتصديق الرسول ووقوع البعث والنشور"[4]، " أن النبي صلّى الله عليه وسلّم لما دعاهم إلى التوحيد، وأخبرهم بالبعث بعد الموت، وتلا عليهم القرآن، جعلوا يتساءلون بينهم فيقولون: ماذا جاء به محمد صلّى الله عليه وسلّم! ويسألون الرسول والمؤمنين عنه استهزاء"[5].

- وذُكر في سورة النبأ جزاء المتقين، وجاء في السورة أن ترك الإيمان سبب لدخول النار (وكذبوا بآياتنا كذابا). وأوضحت السورة ذكر الجزاء فيها وأسبابه.
- وختمت السورة بأن الإيمان هو المآب الذي يتخذ للرحمن ولا يقبل سواه (ذلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَنْ شاءَ اتَّخَذَ إِلى رَبِّهِ مَآباً (٣٩)) مَآباً: "أي: فمن شاء في الدنيا اتخذ بالعمل الصالح

---

(١) التفسير الكبير – الرازي ٣١/ ٧.

(٢) التسهيل لابن جزي ٢/ ٤٤٤.

(٣) فتح القدير ٤/ ٥٠٨.

(٤) فتح القدير ٥/ ٤٣٨.

(٥) مراح لبيد ٢/ ٥٩٥، وانظر: جامع البيان ٢٤/ ٥ والهداية ١٢/ ٧٩٨٢.

والإيمان إلى ربه في ذلك اليوم مرجعاً ومنجىً وسبيلاً"[1]. وأن الكافر مقابل لهذا وأنه الخاسر (إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا (٢١) لِلطَّاغِينَ مَآبًا (٢٢)).

- لما ذكر الله الله سبحانه في آخر سورة المرسلات قوله: (فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ) [المرسلات٥٠] أي: فبأي كلام بعد كلام الله يؤمنون، لن يؤمنوا، فلا يمكن إيمانكم أيها المكذبون بغير القرآن الكريم، جاءت سورة النبأ لتهدد هؤلاء المكذبين، بقوله: (كلا سيعلمون)، أي سيعلمون عاقبة تكذيبهم بالقرآن والبعث، ولكن لماذا لم يذكر العاقبة؟ وذلك لتحفيز القارئ على البحث عن ذلك الجزاء.
- ولما كان الجزاء عن المتقين في سورة النبأ فيه إطالة وبيان، فهذا يجعل القارئ يتشوق إليها ويتساءل عندما يقرأ هذا النعيم العظيم للمتقين في سورة النبأ ما خصائصهم؟ فتأتي سورة النازعات بعدها على الترتيب لبيان هذه الصفات صفات المتقين: فهم أهل الخشية الذين يخافون عظمة ربهم وينهون النفس عن هواها وما حرم الله. وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى(٤٠) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى(٤١)، وتختم السورة بأنهم لم ينالوا ذلك إلا بالحرص على الانتفاع وحضور التذكرة (إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشَاهَا(٤٥)).
- وبيَّنت سورة النازعات حال المؤمنين المتقين عند الموت حيث تسل أرواحهم برفق، وحال الكافرين، قال تعالى: "{والنازعات} يعني الملائكة الموكلة بقبض أرواح الكفار تنزعها {غرقا} أي نزعاً بشدة. {والناشطات نشطا} يعني الملائكة الموكلة بقبض أرواح المؤمنين، تنشطها نشطاً: أي تسلها برفق كالأنشوطة،- والأنشوطة: الربط الذي إذا سللت أحد الطرفين انفكت العقدة، وينحل بسرعة وبسهولة-، فهؤلاء الملائكة الموكلة بقبض أرواح المؤمنين تنشطها نشطاً أي: تسلها برفق، وسبب ذلك أن الملائكة الموكلة بقبض أرواح الكفار إذا دعت الروح إلى الخروج تناديها بأقبح الأوصاف تقول الملائكة لروح الكافر: اخرجي

(١) الهداية إلى بلوغ النهاية ١٢/ ٨٠١٤.

أيتها النفس الخبيثة التي كانت في الجسد الخبيث، اخرجي إلى غضب الله، فتنفر الروح لا تريد أن تخرج إلى هذا، وتتفرق في الجسد حتى يقبضوها بشدة، وينزعوها نزعاً يكاد يتمزق الجسد منها من شدة النزع. أما أرواح المؤمنين -جعلني الله وإياكم منهم- فإن الملائكة إذا نزلت لقبضها تبشرها: أخرجي يا أيتها النفس الطيبة التي كانت في الجسد الطيب اخرجي إلى رضوان الله، فيهون عليها أن تفارق جسدها الذي ألفته فتخرج بسهولة[1]، ولهذا لما قال النبي عليه الصلاة والسلام: «من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه». قالت عائشة: يا رسول الله: إنَّا لنكره الموت، فقال: «ليس ذلك ولكن المؤمن إذا حضره الموت بُشر برضوان الله وكرامته؛ فليس شيء أحب إليه مما أمامه فأحب لقاء الله وأحب الله لقاءه»[2]"[3].

- وفي مجال سبق الإيمان قال تعالى: {فالسابقات سبقا} "رُوي عن علي رضي الله عنه، ومسروق، ومجاهد، وأبي صالح، والحسن البصري: يعني الملائكة؛ قال الحسن: سبقت إلى الإيمان والتصديق به"[4].
- وفي سورة النازعات جاء صريحا في دعوة موسى عليه السلام لفرعون: (هل لك إلى أن تزكى وأهديك إلى ربك فتخشى) والمعنى: "فقل له: هل لك إلى أن تتطهر من دنس الكفر، وتؤمن بربك؟ -ثم ذكر بإسناده- قال ابن زيد في قوله: (هل لك إلى أن تزكى) قال: إلى أن تسلم. قال: والتزكي في القرآن كله: الإسلام، وقرأ قول الله: (وذلك جزاء من تزكى) قال: من أسلم، وقرأ (وما يدريك لعله يزكى) قال: يسلم، وقرأ (وما عليك ألا يزكى)؛ ألا يسلم، -

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٤/ ٢٨٧، وأبو داؤود كتاب السنة، باب المسألة في القبر (٤٧٥٣)، والحاكم ١/ ٣٧ وقال: صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الرقاق، باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه (٦٥٠٧).

(٣) تفسير جزء عم، ابن عثيمين ٣٩-٤٠.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٨/ ٣١٢.

ثم أسند عن عكرمة، معنى قول موسى لفرعون: (هل لك إلى أن تزكى)؛ هل لك إلى أن تقول: لا إله إلا الله. .. وموسى لم يدع فرعون إلى أن يتصدق وهو كافر، إنما دعاه إلى الإسلام، فقال: (تزكى) أي: تكون زاكيا مؤمناً"[1]، "{فكذب وعصى} أي: فكذب بالحق وخالف ما أمره به من الطاعة. وحاصله: أنه كفر قلبه فلم ينفعل لموسى بباطنه ولا بظاهره، وعلمه بأن ما جاء به أنه حق لا يلزم منه أنه مؤمن به؛ لأن المعرفة علم القلب، والإيمان عمله، وهو الانقياد للحق والخضوع له"[2].

- وفيها أن النجاة بالإيمان (خاف مقام ربه)، قال قتادة رحمه الله: "وإن لله مقاما هو قائمه، وإن أهل الإيمان خافوا ذلك المقام فنصبوا ودأبوا الليل والنهار."[3]. والهلاك في فقده: (طغى وآثر الحياة الدنيا) "أي: قدمها على طاعة الله عز وجل"[4].
- ثم تأتي سورة عبس بعدها لتوضح نموذجا ممن رغب في التذكرة وحرص على الانتفاع وحضر إليها، وهو عبد الله بن أم مكتوم الذي عاتبه الله بشأنه في قوله: (عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ(١)أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ(٢)وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّىٰ(٣)أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَىٰ(٤)) ثم بينت السورة الكريمة جزاء من انتفع بالتذكرة وعمل بها في آخرها بأن وجوههم ستكون مضيئة يوم القيامة مشرقة: (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ(٣٨)ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ(٣٩).
- ثم تأتي سورة التكوير لتبين جزاء صنيعهم فلما كانوا يحرصون على التذكرة ويحضرونها كان الجزاء من جنس العمل قربت لهم الجنة وأحضرت جزاء صنيعهم. (وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ(١٣) عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ(١٤)) ثم تأتي إلى نهاية سورة التكوير لتظهر السورة أن التذكرة لا ينتفع منها إلا من شاءها وحرص عليها. إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ(٢٧) لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ

---

(١) جامع البيان، الطبري ٢٤/ ٨٠-٨١ باختصار.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٨/ ٣١٥.

(٣) أخرجه عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم كما في الدر المنثور ٨/ ٤٩٨.

(٤) تفسير جزء عم، ابن عثيمين ص٥٣.

يَسْتَقِيمَ(٢٨).

- الأبرار في نعيمٍ، والجزاء ذُكر بإيجاز: (إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ(١٣)) فلم يبين في سورة الانفطار ما هو النعيم؟ فهذا يجعل القارئ يتساءل ما هو هذا النعيم؟ وفي سورة المطففين بعدها بيان ذلك النعيم؛ قال تعالى: (كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ(١٨)وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ(١٩)كِتَابٌ مَرْقُومٌ(٢٠)يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ(٢١) إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (٢٢) عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ(٢٣) تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ (٢٤) يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ (٢٥) خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ (٢٦) وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ (٢٧) عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ (٢٨) ولما كان الكافرون يضحكون من المؤمنين في الدنيا -كما ذُكر في السورة- فكان الجزاء من جنس العمل ضحك المؤمنون من الكفار (فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ(٣٤) عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ(٣٥)).
- وفي سورة الانشقاق بيان حال المؤمنين عند أخذ كتابهم، فهم يأخذون كتابهم بأيمانهم، تيمنا وتبركا واستبشارا وهم في حالة السرور والفرحة والسعادة: (فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ(٧)فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا(٨)وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا(٩))، وختم السورة بأن هؤلاء المؤمنين في نعيم دائم لا ينقطع: (إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ(٢٥)).
- وهكذا بقية آيات سور الجزء فهي دائرة بين الأمر بتوحيد الله وعبادته، وبيان جزاء ذلك، وصفات من يؤمن، ومدحهم بذلك، وبين النهي عن الشرك وأنواعه وأسبابه، وبيان جزاء ذلك، وصفات من يشرك أو يكفر، وذمهم على ذلك.
- ولهذا نجد القرآن الكريم كثيرًا ما يقرن بين الإيمان بالله تعالى، والإيمان باليوم الآخر؛ لأنه أكبر حافز على الاستعداد بالأعمال الصالحة[1].

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن ص٣٨ و١٤٣ و٩٠٨، واللباب في تفسير الاستعاذة والبسملة وفاتحة الكتاب ص٢٤٧.

٣- **ومن الموضوعات المشتركة**؛ الرسالة والرسول:

- وقد جاءت صريحة في سورة النازعات، فلما سألوه عن الساعة: (فيم أنت من ذكراها. إلى ربك منتهاها. إنما أنت منذر من يخشاها) فحدد الرسالة بالإنذار من تلك الساعة، وأن ذلك الإنذار ينتفع به من يخشى ويستعد لها بطاعتك فيما جئت به من الرسالة. وقبلها جاءت الإشارة إلى أصل الرسالة ونموذج منها؛ وهي رسالة موسى عليه السلام: (إذهب إلى فرعون إنه طغى. فقل هل لك إلى أن تزكى..).
- ثم في قصة (عبس وتولى) وفيها بيان الرسالة وأنها رسالة تزكية جاء بها الرسول صلي الله عليه وسلم، وكذلك التذكير.
- وفي سورة التكوير: يأتي القسم (فلا أقسم بالخنس) وجوابه: (إنه لقول رسول كريم) وهو الرسول الملكي الذي يأتي بالوحي، ثم التصريح بالرسول البشري صلي الله عليه وسلم (وما صاحبكم بمجنون. ولقد رآه بالأفق المبين. وما هو على الغيب بضنين) فهذه تزكية له، وبيان أنه رأى جبريل ويتلقى منه مباشرة، وأن الرسول البشري لا يعلم الغيب، ولكنه لايبخل عليكم بما يصله من وحي الله وأمره وشرعه.
- وفي سورة المطففين: لما ذكر الكافر وُصف بأنه لما تتلى عليه آيات الله يُنكرها، والتالي لها المبلغ عن الله هو الرسول صلي الله عليه وسلم .
- ومثلها في سورة الانشقاق: (وإذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون) ولكنه هنا أُمر بأن يبشرهم بالعذاب.
- وأما سورة البروج: ففيها قصة أصحاب الأخدود وهي قائمة على الإيمان بالرسل، ولذا خُتمت بقوله: (بل الذين كفروا في تكذيب) أي: للرسل، ولما جاءوا به، ولذا استحقوا تلك العقوبات والأخذ.
- وأما في سورة الأعلى: ففيها بيان أن الرسول إنما يبلغ ما يقرؤه الله إياه فلا ينشغل بغيره، وأن

مهمته التذكير الذي ينفع من يخشى الله ويُعرض عنه الأشقى، وأن هذا دأب الرسل قبله؛ ومنهم لإبراهيم وموسى عليهما السلام، وهو ما جاءوا به من الصحف من عند الله تعالى.

- وفي سورة الغاشية: (فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر).
- وفي سورة الفجر: ذُكر أن العقل يوجب اتباع الرسل عليهم السلام، وأن مخالفتهم تستوجب العقوبة، وأن الإنسان يتذكر إذا رأى الناس، ولكن ذلك لا ينفعه، إنما ينتفع من اتبع الرسول صلي الله عليه وسلم ، ودخل في عبادة الله عزّ وجل فيكون مع الداخلين للجنّة.
- وفي سورة البلد: القسم بمكة وحرمها، والقسم بحال كون النبي صلي الله عليه وسلم حلالاً بها ساعةً من نهار، وفي ختامها التواصي الذي لا يمكن أن يكون دون ما جاء به الرسول صلي الله عليه وسلم وتضمنته الرسالة.
- وفي سورة الشمس: بيان شدة خوف الرسول ﷺ على قومه عذاب الله.
- وفي سورة الليل: جزاء من صدَّق الرسول ﷺ، ومن كذَّب الرسول ﷺ.

**٤- ومن الموضوعات المشتركة؛ القرآن:**

- في سورة النبأ: ذكر الله في صفة أهل النار أنهم كذبوا بآيات الله، ولازم هذا إيمان أهل الجنة بذلك، وذكر قيام الروح بين يدي الله عزَّ وجلَّ وهو جبريل الذي ينزل بالوحي للرسل عليهم الصلاة والسلام، وأنه لا يتكلم إلا بإذن الرحمن ولا يقول إلا صواباً، وهو مما فُسِّر به (النبأ العظيم).
- وفي سورة عبس: بيَّن الله أن هذه القصة تذكرةٌ، وأنها في صُحُفٍ مكرمة مرفوعة مطهرة بأيدي سفرة كرام برة.
- وفي سورة التكوير: وصف الله القرآن بأنه نزل به ملكٌ رسولٌ كريمٌ ذي قوةٍ عند ذي العرش مكين، مطاعٍ في الملائكة، ثم هو أمينٌ فيما يتحمله.
- ووصف الرسول البشري بأنه على تواصلٍ ورؤيةٍ للملك الكريم، وأنه ليس على الوحي بضنين، وأن هذا الوحي يفارق قول الشياطين، وأنه لا يلتبس ذلك على من له عقلٌ يفكر فيه؛ بل يعلم علم اليقين أن هذا القرآن ما هو إلا ذكرٌ للعالمين، يستفيد منه من أراد الاستقامة.

- وفي سورة المطففين: بيَّن الله أن الكافر إذا تُتلى عليه آيات الله لا ينظر فيها، ولا يتدبر ولا يفكر فيها، إنما يبادر للتكذيب، ويلقي التُهم بأنها أساطير الأولين؛ مع علمه بالفارق الظاهر بين كلام الله وبين أساطير الأولين، لذلك بيَّن الله أن الأمر ليس كذلك! بل هو ما غطى على قلوبهم من كسبهم، الذين حجبهم عند ربهم، وعن الانتفاع بكلامه سبحانه.
- وفي سورة الانشقاق: بيّن الله أن هؤلاء الكفار إذا قُرئَ عليهم القرآن لايمتثلون له ولا يستجيبون له ولا يتفاعلون معه.
- وفي سورة البروج: ختم الله السورة بما حدث للأمم السابقة، وأن الكفار يكذبون ذلك، ولكنه ورائهم محيط، وأن هذه القصص في قرآنٍ مجيدٍ يُقرأ ومكتوبٌ وفيه العزة والمجد، وقد حفظه الله عنده في لوحٍ محفوظٍ، فلا يناله تغيير ولا تحريف ولا سوءٌ من أحدٍ.
- وفي سورة الطارق: وصف الله ما ذكر في القرآن بأنه قولٌ فصلٌ، يفرق بين الأمور ويميزها، وأنه ليس بالهزل، ولا شيءٍ منه.
- وفي سورة الأعلى: بيّن الله عز وجل أنه هو الذي سيقرئ الرسول القرآن بواسطة الملك العظيم جبريل، وأن الله تكفل له بأن لاينسى شيئاً مما يقرؤه الله إياه إلاَّ بعلمه وحكمته سبحانه وتعالى، وهو أعلم وأحكم فيما يُبقي من القرآن وفيما ينسخ منه، وختم السورة بأن هذه الأمور المذكورة والقواعد العظيمة مما اتفقت عليه الشرائع؛ فهو مما ورد في القرآن، وقد كان في الصحف الأولى: صحف إبراهيم وموسى عليهم الصلاة والسلام.

**٥- ومن الموضوعات المشتركة؛ قصص السابقين:**

- في سورة النازعات: ذكر الله قصة موسى عليه السلام مع فرعون، وأوجز ذلك في مواقف معدودة: ابتدأها الله بنداء الله له في الوادي المقدس، ونبأه بالنبوة، وأرسله بالرسالة إلى فرعون، وأن سبب ذلك طغيان فرعون، وأن مضمون الرسالة طلب التزكية والهداية ليقوم بعبادة الله، وأن الله أيده بالآية الكبرى وهي العصا وانقلاب اليد بيضاء، ثم موقف فرعون من ذلك بالتكذيب والعصيان؛ بل والحيلولة بين الناس والإيمان، فلم يكتف بتكذيبه هو بل صال وجال على الناس وكابر وتزعم تكذيب موسى؛ بما يعلم هو وجنوده كذبه، إلى أن وصل به

الغرور إدِّعاء الألوهية، وكانت العاقبة أن أخذه الله وجعله عبرة وعظةً لمن يخشى الله ويستجيب لأمره ونهيه.

- وفي سورة عبس: تأتي قصة الأعمى مع رسول الله ﷺ.
- وفي سورة المطففين: أشار الله لقومٍ يطففون المكاييل والموازين، وبيَّن سوء فعلهم، وأن ذلك عظيمٌ عند الله، وجزاءه يوم البعث، وختم السورة ببيان حال المجرمين مع المؤمنين وضحكهم منهم، وتغامزهم استهزاءً بهم، وأن ذلك كله ينقلب يوم القيامة.
- وفي سورة البروج: ذكر الله ما فعله أصحاب الأخدود من إيقادهم النار، وقعودهم عليها، وفتن المؤمنين في ذلك، وأن علَّة ذلك إيمانهم بالله عزَّ وجلَّ، وختم السورة بالإشارة أن هذا ما يحدث من كل الجنود كفرعون وثمود، فحال المكذبين كذلك.
- وفي سورة الفجر: أشار الله لقصة عاد وقوتهم وشدتهم، وما فعل الله بهم، وذلك ثمود الذين قطعوا الصخر بالواد رفاهيةً وتفاخراً، وفرعون الذي عذَّب الناس حوله وابتلاهم في حياتهم وفي دينهم، وأن فسادهم لا نظير له، لكن الله لا يقبل ذلك، بل صبَّ عليهم العذاب صباً وأهلكهم.
- وفي سورة البلد: قصة فتح مكة وأنَّ الله أحلها لرسوله ﷺ ساعةً من نهار.
- وفي سورة الشمس: أشار إلى تواطئ قوم ثمود على قتل الناقة، وعنادهم لرسولهم عليه السلام الذي أمرهم بأمر الله، لكن الله عاقبهم.
- وفي سورة الليل: ذكر قصة أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه وإنفاقه لماله في سبيل الله.

وغير ذلك من الموضوعات والمسائل التي تضمنتها سور أواسط المفصل، مما يُقترح بحثه ودراسته بتدبر وتمهل.

## المبحث الرابع:

## الخصائص الأسلوبية والموضوعية في سور أواسط المفصَّل:

أ- **الخصائص الأسلوبية:**

١- قصر الآيات والسور، وإيجازها.

٢- كثرة أسلوب التأكيد ووسائل التقرير ترسيخًا للمعاني، كالإكثار من القسم وضرب الأمثال والتشبيه.

٣- كثرة الفواصل، والفاصلة هي خاتمة الآية.

٤- قوة الإيقاع الصوتي.

ب- **الخصائص الموضوعية في التعبير:**

٢- ثمة ظاهرة في الأداء التعبيري لجزء عمَّ؛ وهي: أناقة في التعبير واضحة، فيها لمساتٌ مقصودةٌ لمواطن الجمال في الكون والنفوس، وافتنانٌ مبدع في الصور والتصوير، والجمال الصوتي والقوافي والفواصل، تتناسق كلها مع خطاب الغافلين النائمين السادرين؛ لإيقاظهم واجتذاب حسهم وحواسهم بشتى الألوان وشتى المؤثرات، يظهر هذا كله بصورة واضحة في مثل:

وصف الله اللطيف عن النجوم التي تخنس وتتوارى كالظباء في كناسها وتبرز، وعن الليل وكأنه حيٌّ يَعُسُّ في الظلِّ، والصبح وكأنه حيٌّ يتنفس بالنور: {فلا أقسم بالخنس. الجوار الكنس؛ والليل إذا عسعس. والصبح إذا تنفس}.

وفي عرضه لمشاهد الغروب والليل والقمر: {فلا أقسم بالشفق، والليل وما وسق، والقمر إذا اتسق}.

أو مشاهد الفجر والليل وهو يتمشى ويسري: {والفجر. وليال عشر. والشفع والوتر. والليل إذا يسر} {والضحى. والليل إذا سجى}.

وفي خطابه المباشر والمؤثر؛ في القلب البشري: {يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم؟ الذي خلقك فسواك فعدلك..} وفي وصف الجنة: {وجوه يومئذ ناعمة، لسعيها راضية، في جنة عالية، لا تسمع فيها لاغية..} ووصف النار: {وأما من خفت موازينه فأمه هاوية. وما أدراك ماهيه. نار حامية}.

والأناقة في التعبير واضحة وضوح القصد في اللمسات الجمالية لمشاهد الكون وخوالج النفس.

والعدول أحياناً عن اللفظ المباشر إلى الكناية، وعن اللفظ القريب إلى الاشتقاق البعيد، لتحقيق التنغيم المقصود، مما يؤكد هذه اللفتة خلال الجزء كله على وجه التقريب.

٣-وسورة النبأ نموذج لاتجاه هذا الجزء بموضوعاته وحقائقه وجماله الصوتي ومشاهده وصوره ومؤثراته ولمساته في: الكون والنفس والدنيا والآخرة؛ واختيار الألفاظ والعبارات؛ لتكون أشد إيقاعاً وأثراً في الحس والضمير.

فهي تفتتح بسؤال موحٍ ومثيرٍ للاستهوال والاستعظام وتضخيم الحقيقة التي يختلفون عليها، وهي أمرٌ عظيمٌ لا خفاء فيه، ولا شبهة؛ ويعقب على هذا بتهديدهم يوم يعلمون حقيقته: {عم يتساءلون. عن النبأ العظيم، الذي هم فيه مختلفون. كلا سيعلمون. ثم كلا سيعلمون} ومن ثَمَّ يعدل السياق عن الكلام عن هذا النبأ ويؤجله لحينٍ، ليلفت انتباههم إلى الآيات العظيمة بين أيديهم وحولهم، في ذوات أنفسهم وفي الكون حولهم من أمورٍ عظيمةٍ، تدل على ذلك النبأ وتقرره: {ألم نجعل الأرض مهاداً، والجبال أوتاداً وخلقناكم أزواجاً وجعلنا نومكم سباتاً وجعلنا الليل لباساً، وجعلنا النهار معاشاً وبنينا فوقكم سبعاً شداداً وجعلنا سراجاً وهاجاً وأنزلنا من المعصرات مآء ثجاجاً لنخرج به حباً ونباتاً وجنات ألفافاً}.

وبعد هذا التذكير بالحقائق والمشاهد والصور يعود بهم إلى ذلك النبأ العظيم الذي هم فيه مختلفون، والذي هددهم به يوم يعلمون! ليقول لهم ما هو؟ وكيف يكون: {إن يوم الفصل كان ميقاتاً. يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجاً. وفتحت السماء فكانت أبواباً. وسيرت الجبال فكانت سراباً}.

ثم يُذكرهم مشهد العذاب بكل قوته وعنفه: {إن جهنم كانت مرصاداً، للطاغين مآباً، لابثين فيها أحقاباً، لا يذوقون فيها برداً ولا شراباً. إلا حميماً وغساقاً. جزآء وفاقاً. إنهم كانوا لا يرجون حساباً، وكذبوا بآياتنا كذاباً، وكل شيء أحصيناه كتاباً. فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذاباً}.

ويرغبهم في مشهد النعيم ويصفه بوصفٍ يحلق بالأذهان لجمال رحمته: {إن للمتقين مفازاً: حدائق وأعناباً، وكواعب أتراباً. وكأساً دهاقاً، لا يسمعون فيها لغواً ولا كذاباً. جزاء من ربك عطاء حساباً}.

وتختم السورة بجليل الحقيقة وعِظَم المشهد الذي يعرض ذلك اليوم، وبإنذارٍ وتذكيرٍ قبل أن يجيء اليوم الذي يكون فيه المشهد الجليل: {رب السماوات والأرض وما بينهما الرحمن لا يملكون منه خطاباً. يوم يقوم الروح والملائكة صفاً لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صواباً. ذلك اليوم الحق. فمن شاء اتخذ إلى ربه مآباً. إنآ أنذرناكم عذابا قريباً. يوم ينظر المرء ما قدمت يداه، ويقول الكافر يا ليتني كنت تراباً}. ذلك هو النبأ العظيم الذي يتساءلون عنه، وذلك ما سيكون يوم يعلمون ذلك النبأ العظيم.

ج- **قوة الأسلوب الموضوعي، مع قوة البلاغة واللفظ:**

يلاحظ المتأمل للأسلوب الموضوعي والبلاغي لآيات سور هذا الجزء أنه يتضمن طرقاتٍ مؤثرةٍ بقوةٍ وعاليةٍ ومتواليةٍ على الحس، وأنها تمثل حججاً وصيحات بِنوّم غارقين! وبسكارى مخمورين! وبلاهين في سامرٍ! تتوالى من سور هذا الجزء كله بإيقاعٍ واحد منذرٍ: انظروا، تفكروا، تدبروا، اعتبروا، اعقلوا..

وتدلهم على أن هنالك إلهاً واحداً منفرداً يستحق العبادة وحده؛ إذ له التدبير، والتقدير، ومنه الابتلاء، وإليه المرجع، وهناك الحساب والجزاء؛ فإمّا عذاب شديد، أو نعيم كبير.

وتتكرر تلك التنبيهات والنداءات وتتماثل في طرقها العظيم على الأسماع والقلوب بألفاظٍ وأساليب متنوعة.

فهذا الجزء فيه التركيز على حقائق معينةٍ قليلةِ العدد، عظيمة القدر، ثقيلة الوزن؛ بأساليب مؤثرةٍ تلمس أوتار القلوب، وتثير مشاهد الاعتبار في الكون والنفس، وأحداثٍ معينةٍ ستكون في يوم الفصل، وهذا التكرار مقصودٌ لتقوم الحجة على من سمع ذلك أو بلغه.

هكذا يحس القارئ وهو يقرأ: {فلينظر الإنسان إلى طعامه} {فلينظر الإنسان مم خلق} {أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت. وإلى السمآء كيف رفعت. وإلى الجبال كيف نصبت. وإلى الأرض كيف سطحت} ويقرأ: {أأنتم أشد خلقاً أم السمآء بناها. رفع سمكها فسواها. وأغطش ليلها وأخرج ضحاها. والأرض بعد ذلك دحاها. أخرج منها مآءها ومرعاها. والجبال أرساها. متاعاً لكم ولأنعامكم} ويسمع: {ألم نجعل الأرض مهاداً. والجبال أوتاداً. وخلقناكم أزواجاً. وجعلنا نومكم سباتاً. وجعلنا الليل لباساً. وجعلنا النهار معاشا. وبنينا فوقكم سبعاً شداداً. وجعلنا

سراجاً وهاجاً. وأنزلنا من المعصرات مآءً ثجاجاً. لنخرج به حباً ونباتا وجنات ألفافاً}. ومثلها: {يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم، الذي خلقك فسواك فعدلك، في أي صورة ما شآء ركبك} ويقرأ: {إذا الشمس كورت، وإذا النجوم انكدرت، وإذا الجبال سيرت، وإذا العشار عطلت، وإذا الوحوش حشرت، وإذا البحار سجرت، وإذا النفوس زوجت، وإذا الموءودة سئلت بأي ذنب قتلت. وإذا الصحف نشرت، وإذا السمآء كشطت، وإذا الجحيم سعرت، وإذا الجنة أزلفت. علمت نفس ما أحضرت}.

ومع ذلك يقرأ اللمحات والسبحات الكونية في مفاتح عدد من السور وفي ثناياها والقسم على ذلك: {فلا أقسم بالخنس. الجوار الكنس. والليل إذا عسعس. والصبح إذا تنفس}، {فلا أقسم بالشفق، والليل وما وسق. والقمر إذا اتسق}، {والفجر. وليال عشر. والشفع والوتر. والليل إذا يسر}، {والشمس وضحاها. والقمر إذا تلاها. والنهار إذا جلاها. والليل إذا يغشاها والسماء وما بناها. والأرض وما طحاها. ونفس وما سواها. فألهمها فجورها وتقواها}، {والليل إذا يغشى. والنهار إذا تجلى. وما خلق الذكر والأنثى}..

وفي الجزء كله تركيزٌ على النشأة الأولى للإنسان، والأحياء الأخرى في هذه الأرض؛ من نبات وحيوان، اعتباراً، وامتناناً، واستدلالاً، وكلُّ مشاهد هذا الكون وآياته كتاب لله مفتوح للاتعاظ والاعتبار والاستدلال.

وتركيزٌ بذكر مشاهد من يوم القيامة وأسمائه: الطامة الصاخة القارعة الغاشية، ومشاهد الحساب والجزاء، ونتائج ذلك من نعيمٍ وعذابٍ؛ في صورٍ تقرع وتذهل وتزلزل العاقل، وتوقظ الغافل، وتذكر الناسي، وتعلم الجاهل، وتزيل الشك والشبهة عن المرتاب.

مع الاستدلال على استحقاق الله التوحيد بالعبادة والطاعة، لما امتنَّ به عليهم من الخلق والتدبير، وأن الموعد عند النشأة الأخرى وموازينها الحاسمة، والتقريع بالآخرة والتخويف والتحذير، وتصاحبها صورٌ من مصارع الغابرين من المكذبين؛ الذين لهم بهم عبرةٌ ومدَّكر.

## المبحث الخامس:

## الأساليب المشتركة.

تعددت أساليب القرآن الكريم في خطاب النفس البشرية، ما بين: وعظٍ وتذكيرٍ، وتهديدٍ، ووعيدٍ، ووعدٍ، وتدبرٍ واعتبارٍ، وتأكيدٍ وتكرارٍ، وتنويعٍ وتقسيمٍ، وخطابٍ، وقسمٍ.. وغير ذلك من فنون الأساليب، ومن الأساليب المشتركة بين أواسط المفصل والمتكررة ما يلي:

**أسلوب الوعظ والتذكير:**

وصف الله عزَّ وجلَّ القرآن بذلك فقال تعالى: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ} [يونس: ٥٧]. قال الراغب: "الوعظ زجر مقترن بتخويف، وقال الخليل: هو التذكير بالخير فيما يرق له القلب"(١). وقيل الوعظ: تنبيه الغير إلى الأوامر والنواهي مع التذكير بالعواقب.

والتذكرة: ما يحصل به تذكر الشيء، حتى لا يطويه أو يستبعده النسيان عن الحفظ ومن هنا أطلق على القرآن وآياته: تذكرةٌ لأن تلاوتها وإعادة قراءتها تذكر بمفهوم الدين وتعاليمه وأحكامه وشرائعه.

والموعظة في القرآن الكريم نوعان: عامة وخاصة، فالمواعظ العامة يراد منها تذكير المؤمنين كافة، وتهتم بالدعوة إلى توحيد الله عز وجل، والإقرار بالعبودية له سبحانه، وتذكر بنعم الله سبحانه على العباد، وتخوف من الإغترار بالحياة الدنيا، وبالأماني الكاذبة التي يمني بها الشيطان، وتبين سوء العاقبة لمن اعتبر بذلك وحسن عاقبة المؤمنين على طريقة جمع القرآن الكريم بين الترغيب والترهيب، وتوجه للمؤمنين وللناس عموماً.

والقرآن الكريم يقدم الترغيب على الترهيب، إذا كان الخطاب للمؤمنين ليأخذ بيدهم إلى الخير وعمل الصالحات، فإذا كانت الموعظة لتذكير الناس كافة، أتت بالأدلة على ألوهيته سبحانه وذكرت بنعم الله على العباد وقدمت الترهيب على الترغيب، ومن أهداف المواعظ: إصلاح

---

(١) مفردات غريب القرآن ص٥٦٤.

المجتمعات وإرشاد الناس إلى ما يحقق هذا الصلاح، والنهي عن المفاسد وتطهير المجتمعات من الأخلاق الفاسدة والسلوكيات المنحرفة.

أما الموعظة الخاصة في القرآن فهي موجهة إما إلى شخص معين مثل وصية لقمان لابنه الواردة في سورة لقمان، أو نوعٍ من الناس مخصوصٍ بفعلٍ أو صفةٍ.

وكل سور أواسط المفصل عظيمةٌ تضمنت: "تذكرة وموعظة ينبغي للمؤمن أن يقرأها بتدبر وتمهل، وأن يتعظ بما فيها، كما أن الواجب عليه في جميع سور القرآن وآياته أن يكون كذلك، حتى يكون ممن اتعظ بكتاب الله وانتفع به، نسأل الله تعالى أن يعظنا وإياكم بكتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وآياته الكونية إنه على كل شيء قدير"[1].

ولذا لابد من الاتعاظ بالقرآن، والوعظ بكتاب الله تعالى للغير وفي الدعوة إلى الله، نسأل الله أن ينفعنا جميعا بكتابه، وأن يجعله موعظة لقلوبنا، وشفاء لما في صدورنا، إنه جواد كريم.

وكل الأحداث التي ذكرها الله عن يوم القيامة في كل السور: هذه الأمور التي ذكر الله في الآيات أمور حقيقية يجب أن تؤمن بها كأنك تراها رأي العين ثم بعد الإيمان بها يجب أن تعمل بمقتضي ما تدل عليه من الاتعاظ والانزجار، والقيام بالواجب، وترك المنهيات حتى تكون من أهل القرآن الذين يتلونه حق تلاوته[2].

"وفي الأحداث التي يعرضها القرآن عبرة وعظة، لمن كان له عقل يرى به مصير أهل السوء والضلال، فيخشى على نفسه مثل هذا المصير، فيباعد بينها وبين السوء والضلال"[3].

قولُه تعالى: {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ}؛ "أي: إنَّ فيما حَدَثَ لفرعونَ موعظةً لمن يتَّعِظ ويخافُ عقابَ الله، فجاءت قصة موسى مع فرعون بين إنكار المنكِرين للبعث وبين أدلته التي تبدأ بقوله

---

(١) تفسير جزء عم ابن عثيمين ص٨٧.

(٢) تفسير جزء عم ابن عثيمين ص٧٥ بتصرف.

(٣) التفسير القرآني للقرآن ١٥/ ١٤٣٥.

تعالىٰ: {أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا}، وفيها إشارة إلىٰ تهديد هؤلاء المنكِرين بأن الله قد عذَّب من هو أشد منهم قوة، وأنهم لا يُعجزونه إن لم يؤمنوا بما جاء به نبيُّه أن يقع بهم ما وقع بفرعون"[1].

{مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ} "في ذكر الأنعام هنا إشارة إلىٰ أن الأنعام تشاركهم في التمتُّع في الأرض، وأن عليهم زيادةً في ذلك، وهو الاعتبارُ والاتِّعاظُ بما أنعم الله عليهم به، لكيلا يكونوا كالأنعام أو أضل سبيلاً؛ كما قال تعالىٰ: {كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَىٰ} [طه: ٥٤]، والله أعلم"[2].

{أو يذكر فتنفعه الذكرىٰ} يعني وما يدريك لعله يذكر أي يتعظ فتنفعه الموعظة.

"في ذكر التزكي وبعده التذكر- وهو حصول أثر التذكير- احتمالان:

**الأول**: أن يكون الأمر من قَبيل التَّخْلِية والتَّحْلِية، فالتزكي: تطهير، وهذا جانب التخلية، وحصول التذكر في القلب تحلية.

**الثاني**: أن يكون التزكِّي: كمال حصول الموعظة في القلب، والتذكر: ما يحصل في القلب من يسيرها، ويكون المعنىٰ: إن لم يقع منه كمالُ تَزَكٍّ، وقع منه يسيرٌ ينفعه في المستقبل، والله أعلم"[3].

{كلا إنها تذكرة} "أي الآيات القرآنية التي أنزلها الله علىٰ رسوله صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وسلم. تذكر الإنسان بما ينفعه وتحثه عليه، وتذكر له ما يضره وتحذره منه ويتعظ بها القلب، {فمن شاء ذكره} أي: فمن شاء ذكر ما نزل من الموعظة فاتعظ، ومن شاء لم يتعظ"[4]

"قولُه تعالىٰ: {فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ}؛ أي: فمن أرادَ من عبادِ الله ـ صادقاً في إرادته ـ أن يتَّعِظَ بالقرآن وآياتِه حصلَ له الاتِّعاظ"[5].

---

(١) تفسير جزء عم الطيار ص٤٤.

(٢) تفسير جزء عم الطيار ص٤٦.

(٣) تفسير جزء عم الطيار ص٥١-٥٢.

(٤) تفسير جزء عم ابن عثيمين ص٦١ بتصرف.

(٥) تفسير جزء عم الطيار ص٥٢.

"قولُه تعالىٰ: {إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ}؛ أي: ما هذا القرآن الذي ذكرتُ لكم أحوالَه إلا موعظة لكم أيها المكلَّفون من الإنسِ والجن.

قولُه تعالىٰ: {لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ}؛ أي: هذا القرآنُ موعظةٌ لمن صَدَقَ في توجُّهه إلىٰ الله، وأرادَ أن يكونَ مُسلِماً لله، مستقيماً علىٰ دينه، وفي هذا دلالة علىٰ أن العبدَ قد يحجبُ نفسَه عن الهداية؛ كما قال تعالىٰ: {وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا} [الشمس: ١٠]"[1].

"قولُه تعالىٰ: {إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الأُولَىٰ *صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ}؛ أي: إنَّ هذه الموعِظة التي في قوله تعالىٰ: {قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّىٰ} وما بعدها موجودةٌ فيما أنزله الله من الكُتب علىٰ نبيِّهِ إبراهيمَ وموسىٰ، والله أعلم"[2].

وقال تعالىٰ: {سيذكر من يخشىٰ. ويتجنبها الأشقىٰ} "فبين تعالىٰ أن الناس ينقسمون بعد الذكرىٰ إلىٰ قسمين:

**القسم الأول:** من يَخْشَ الله عز وجل، أي يخافه خوفاً عن علم بعظمة الخالق جل وعلا، فهذا إذا ذكر بآيات ربه تذكر كما قال تعالىٰ في وصف عباد الرحمن: {والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صمًّا وعمياناً} [الفرقان: ٧٣]. فمن يخش الله ويخاف الله إذا ذكر ووعظ بآيات الله اتعظ وانتفع.

**أما القسم الثاني:** فقال: {ويتجنبها الأشقىٰ} أي: يتجنب هذه الذكرىٰ ولا ينتفع بها الأشقىٰ.. فالأشقىٰ المتصف بالشقاوة يتجنب الذكرىٰ ولا ينتفع بها، والأشقىٰ هو البالغ في الشقاوة غايتها وهذا هو الكافر، فإن الكافر يذكر ولا ينتفع بالذكرىٰ، ولهذا قال: {الذي يصلىٰ النار الكبرىٰ. ثم لا يموت فيها ولا يحيىٰ}"[3].

" {يومئذ يتذكر الإنسان وأنىٰ له الذكرىٰ} يعني إذا جاء الله في يوم القيامة، وجاء الملك الملائكة صفوفاً صفوفاً، وأحاطوا بالخلق، وحصلت الأهوال والأفزاع يتذكر الإنسان، يتذكر أنه وعد بهذا

---

(١) تفسير جزء عم الطيار ص٧٢.

(٢) تفسير جزء عم الطيار ص١٢٥.

(٣) تفسير جزء عم ابن عثيمين ص١٦٥.

اليوم، وأنه أعلم به من قبل الرسل عليهم الصلاة والسلام، وأنذروا وخوفوا، ولكن من حقت عليه كلمة العذاب فإنه لا يؤمن ولو جاءته كل آية، حينئذ يتذكر لكن يقول الله عز وجل {وأنىٰ له الذكرىٰ} أين يكون له الذكرىٰ في هذا اليوم الذي رأىٰ فيه ما أخبر عنه يقيناً؟! وأنىٰ له الاتعاظ فات الأوان؟! والإيمان عن مشاهدة لا ينفع لأن كل إنسان يؤمن بما شاهد، الإيمان النافع هو الإيمان بالغيب {الذين يؤمنون بالغيب} [البقرة: ٣]"[1].

**أسلوب التهديد:**

وكان أسلوب التهديد من الأساليب التي اعتمدها القرآن في خطابه؛ وذلك أن من النفوس البشرية من لا تستجيب لنداء الحق إلا إذا خوطبت بخطاب فيه تهديد ووعيد، والمتأمل في القرآن الكريم يجد أن أسلوب التهديد لم يأت بصيغة التهديد الصريحة فحسب، بل جاء في العديد من المواضع بطريق التلميح والتعريض، وتبين أن التهديد في القرآن ورد بصيغ متعددة وأساليب متنوعة كلها تدل على بلاغة هذا الكتاب وإعجازه للعالمين، فأسلوب التهديد الذي استخدمه الله تعالىٰ في بعض آيات القرآن كان أكبر سبب داعٍ للتقوىٰ والعمل الصالح. ومما ورد في أواسط المفصل:

استعمال أسلوب التهديد والوعيد في الموعظة الإيمانية، وهذه من قوله تعالىٰ: (كَلَّا سَيَعْلَمُونَ (٤) ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ (٥))، وكرَّر الجملةَ للتأكيد، ولزيادةِ التهديد.

قولُه تعالىٰ: {إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا}؛ لما كان المقامُ مُقامَ وعيدٍ وتهديدٍ للمختلِفين في النبأ قُدِّم ذكرُ جهنم، التي هي اسمٌ من أسماء دار العذاب الأخروي.

وقد "جاءت قصة موسىٰ مع فرعون بين إنكار المنكِرين للبعث وبين أدلته التي تبدأ بقوله تعالىٰ: {أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا}، وفيها إشارة إلىٰ تهديد هؤلاء المنكِرين بأن الله قد عذَّب من هو أشد منهم قوة، وأنهم لا يُعجزونه إن لم يؤمنوا بما جاء به نبيُّه أن يقع بهم ما وقع بفرعون"[2].

وقوله تعالىٰ: {أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا}، وفيها إشارة إلىٰ تهديد هؤلاء المنكِرين بأن الله قد عذَّب من هو

---

(١) تفسير جزء عم ابن عثيمين ص٢٠٢.

(٢) تفسير جزء عم للشيخ مساعد الطيار ص٤٤.

أشد منهم قوة، وأنهم لا يُعجزونه إن لم يؤمنوا بما جاء به نبيُّه أن يقع بهم ما وقع بفرعون.

ومن صيغ الوعيد " كلمة (ويل) تكررت في القرآن كثيراً، وهي على الأصح كلمة وعيد يتوعد الله سبحانه وتعالى بها من خالف أمره، أو ارتكب نهيه على الوجه المفيد في الجملة التي بعدها فهنا يقول عز وجل {ويل للمطففين}"[1].

"قوله: {وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ} [الفجر: ٢٣]، يلاحظُ أنَّ الآية ذكرت مجيءَ النار دونَ الجنة؛ لأن المقام مع المكذِّبين بالبعث، فناسب ذلك ذكرها تهديداً"[2].

يقول الله عز وجل: {أيحسب أن لم يره أحد} أيظن هذا أنه لا يراه أحد في تبذيره المال، وصرفه في ما لا ينفع، وكل هذا تهديد للإنسان أن يتغطرس، وأن يستكبر من أجل قوته البدنية، أو كثرة ماله.

"إذا كان المرجع إلى الله في كل الأمور فإنه لا يمكن لأحد أن يفر من قضاء الله أبداً، ولا من ثواب الله وعدله، وقوله: {إن إلى ربك الرجعى} ربما نقول إنه أعم من الوعيد والتهديد يعني أنه يشمل الوعيد والتهديد، ويشمل ما هو أعم فيكون المعنى أن إلى الله المرجع في كل شيء في الأمور الشرعية التحاكم إلى الكتاب والسنة {فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول} [النساء: ٥٩]. والأمور الكونية المرجع فيها إلى الله {إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم} [الأنفال: ٩]. فلا رجوع للعبد إلا إلى الله، كل الأمور ترجع إلى الله عز وجل، يفعل ما يشاء، حتى ما يحصل بين الناس من الحروب والفتن والشرور فإن الله هو الذي قدرها، لكنه قدرها لحكمة كما قال الله تعالى: {ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد} [البقرة: ٢٥٣]. إذن {إن إلى ربك الرجعى} يكون فيها تهديد لهذا الإنسان الذي طغى حين رأى نفسه مستغنياً عن ربه، وفيها أيضاً ما هو أشمل وأعم وهو أن المرجع إلى الله تعالى في كل الأمور"[3].

---

(١) تفسير جزء عم للشيخ ابن عثيمين ص٩٣.

(٢) تفسير جزء عم للشيخ مساعد الطيار ص٢٥و٤٧.

(٣) تفسير جزء عم ابن عثيمين ص٢٦١.

{وَلاَ يَخَافُ عُقْبَاهَا}، والفاء تدل على تفريعِ ما بعدَها عن ما قبلَها، وما قبلَها حكايةٌ عن فعلِ الله بهم، فتكون هذه الجملةُ متفرعةً عنها في حكايةِ انتفاءِ خوفِ الله منهم، مع ما لهم من القوة، وفي هذا تهديدٌ للأقوامِ الآخَرينَ بقوةِ الله وأنه الفعَّالُ لما يُريد[1].

وقد تكرر في هذه السور: تهديد ووعيد شديد لقريش الذين كذبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ووقفوا له بالمرصاد، وأنهم ليسوا أشد قوة من فرعون وثمود، ومع ذلك أصابهم الدمار والهلاك ووقع عليهم كلمة العذاب.

وقوله: {إن ربك لبالمرصاد} الخطاب هنا للنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، أو لكل من يتوجه إليه الخطاب، يبين الله عز وجل أنه بالمرصاد لكل من طغى واعتدى وتكبر، فإنه له بالمرصاد سوف يعاقبه ويؤاخذه، وهذا المعنى له نظائر في القرآن الكريم. فسنة الله سبحانه وتعالى واحدة في المكذبين لرسله، المستكبرين عن عبادته هو لهم بالمرصاد، وهذه الآية تفيد التهديد والوعيد لمن استكبر عن عبادة الله، أو كذب خبره.

**أسلوب الوعيد:**

وهو قريب من أسلوب التهديد، ومشاكلٌ له، ومنه: "قولُه تعالى: {كَلاَّ سَيَعْلَمُونَ*ثُمَّ كَلاَّ سَيَعْلَمُونَ}؛ أي: ليس الأمرُ كما يزعمُ هؤلاء المختلفونَ في النبأ، وسيعلمونَ عاقبةَ اختلافِهم فيه، وهذا وعيدٌ للمختلِفين في النبأ، وكرَّر الوعيدَ لتأكيدِه."[2]

" قولُه تعالى: {إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا}؛ أي: إنَّ نارَ جهنَّمَ كانت ذاتَ ارتقابٍ، ترقُبُ من يجتازُها وترصُدُهم، لما كان المقامُ مُقامَ وعيدٍ وتهديدٍ للمختلِفين في النبأ قُدِّم ذكرُ جهنم، التي هي اسمٌ من أسماء دار العذاب الأخروي، والمِرصاد: مكان الرصد والترقُّب، وفي هذا إشارة إلى ما ذكره الرسول صلّى الله عليه وسلّم من أمر الصراط الذي يوضع على متن جهنم، فيمرُّ الناس عليه، فتختَطِفُ النار بكَلاليبها وخطاطيفها أهلها الذين حكمَ الله عليهم بدخولها، وقد أشار السلف في

---

(١) تفسير جزء عم للشيخ مساعد الطيار ص١٦٠.

(٢) تفسير جزء عم الطيار ٢٢.

تفسير هذه الآية إلى المرور على النار؛ كالحسن، وقتادة، وسفيان الثوري"[1].

" قوله تعالى: {لا بثين فيها أحقابا} لا تدل بأي حال من الأحوال على أن هذه الأحقاب مؤمدة يعني إلى أمد ثم تنتهي، بل المعنى أحقاباً كثيرة لا نهاية لها. {لا يذوقون فيها برداً ولا شراباً} نفى الله سبحانه وتعالى عنهم البرد الذي تبرد به ظواهر أبدانهم، والشراب الذي تبرد به أجوافهم. ذلك لأنهم والعياذ بالله إذا عطشوا واستغاثوا كانوا كما قال الله تعالى: {وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقاً} [الكهف: ٢٩]. وهل الماء الذي كالمهل وإذا قرب من الوجه شوى الوجه هل ينتفع به صاحبه؟ الجواب استمع قول الله تعالى: {وسقوا ماءً حميماً فقطع أمعاءهم} [محمد: ١٥]. أما في ظاهر الجسم فقد قال الله تعالى: {خذوه فاعتلوه في سواء الجحيم. ثم في صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم} [الخان: ٤٧ - ٤٨]. وقال تعالى: {يصب من فوق رؤوسهم الحميم. يُصهر به ما في بطونهم والجلود} [الحج: ١٩-٢٠]. ما في بطونهم الأمعاء وهي باطن الجسم، فمن كان كذلك فإنهم لا يذوقون فيها برداً ولا شراباً يطفئ حرارة بطونهم ومن تدبر ما في القرآن والسنة من الوعيد الشديد لأهل النار فإنه كما قال السلف: (عجبت للنار كيف ينام هاربها، وعجبت للجنة كيف ينام طالبها)"[2].

" {ويل} كلمة ويل تكررت في القرآن كثيراً، وهي على الأصح كلمة وعيد يتوعد الله سبحانه وتعالى بها من خالف أمره، أو ارتكب نهيه على الوجه المفيد في الجملة التي بعدها"[3].

" {بل الذين كفروا يكذبون} أي في تركهم السجود كان ذلك بسبب تكذيبهم لما جاءت به الرسل {والله أعلم بما يوعون} أي أنه سبحانه وتعالى أعلم بما يوعونه أي بما يجمعونه في صدورهم، وما يجمعونه من أموالهم، وما يجتمعون عليه من منابذة الرسل ومخالفة الرسل، بل محاربة الرسل وقتالهم، والكفار أعداء للرسل من حين بعث الله الرسل عليهم الصلاة والسلام، فهم يجمعون لهم

---

(١) تفسير جزء عم الطيار ٢٥.

(٢) تفسير جزء عم ابن عثيمين ص٣٠.

(٣) تفسير جزء عم ابن عثيمين ٩٣.

وهذا وعيد لهم بدليل قوله تعالى: {فبشرهم بعذاب أليم} أخبرهم بالعذاب الأليم الذي لابد أن يكون"[1].

" وكان من نبأ فرعون وثمود فائدتان:

**الأولى**: تسلية النبي صلى الله عليه وسلم وتقويته، وأن الذي نصر رسله من قبل سوف يؤيده وينصره ويعززه، وهذا لا شك أنه يقوي العزيمة، ويشحذ الهمم في الدعوة إلى الله وتبليغ رسالاته.

**والفائدة الثانية**: تهديد ووعيد شديد لقريش الذين كذبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ووقفوا له بالمرصاد، وأنهم ليسوا أشد قوة من فرعون وثمود، ومع ذلك أصابهم الدمار والهلاك ووقع عليهم كلمة العذاب.."[2].

" {إن ربك لبالمرصاد} الخطاب هنا للنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، أو لكل من يتوجه إليه الخطاب، يبين الله عز وجل أنه بالمرصاد لكل من طغى واعتدى وتكبر، فإنه له بالمرصاد سوف يعاقبه ويؤاخذه، ... فسنة الله سبحانه وتعالى واحدة في المكذبين لرسله، المستكبرين عن عبادته هو لهم بالمرصاد، وهذه الآية تفيد التهديد والوعيد لمن استكبر عن عبادة الله، أو كذب خبره"[3].

" {إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا} زلزلت وحركت تحريكًا بعد تحريم حتى لا ترى فيها عوجًا ولا أمتًا تدك الجبال، وتمد الأرض، وفيه وعيد لهم بعد الردع والزجر"[4].

"ولقد تكررت في القرآن كثيرا حكاية ما سوف يصدر من الكفار ومقترفي الآثام من ندم وحسرة على ما فعلوه حينما يرون مصيرهم الرهيب يوم القيامة، وقد مرّ مثل هذا في سورة المدثر بأسلوب آخر، كما تكرر الإنذار بأنه لن يغني في الآخرة أحد عن أحد. والمتبادر أن هذا الأسلوب مع ما ينطوي عليه من حقيقة إيمانية مغيبة قد استهدف فيما استهدفه إثارة الندم والخوف في هذه الفئة

---

(١) تفسير جزء عم ابن عثيمين ١٢١-١٢٢.

(٢) تفسير جزء عم ابن عثيمين ١٤١.

(٣) تفسير جزء عم ابن عثيمين ١٩٥.

(٤) تفسير جزء عم - عبدالملك القاسم ١٠٣.

وحملها على الارعواء قبل فوات الفرصة والندم حيث لا ينفع الندم.

ولقد تكرر في القرآن ذكر وقوف الناس بين يدي اللّه يوم القيامة أو مجيئه لذلك واصطفاف الملائكة حوله في مشهد الحساب والجزاء يوم القيامة بأساليب متنوعة. والمتبادر أن هذا مع وجوب الإيمان به وكونه في النص من قدرة اللّه ومع وجوب تنزيه اللّه عز وجل من مفهوم المجيء والرواح والوقوف والجلوس وغير ذلك من أفعال الخلق وصفاتهم قد استهدف التأثير بالسامعين لأنهم بخطورة المشهد القضائي الأخروي العظيم"[1].

**أسلوب الوعد:**

الوعد هو: الإخبار عن فعل شيءٍ في المستقبل يتعلق بغيره سواء كان خيراً أو شراً. وقيل: إخبار بإيقاع شيء نافع، سواء في الحاضر أو في المستقبل، في الدنيا أو في الآخرة. والمتأمل في وعود القرآن الكريم يجد أنها اهتمت بإحداث التوازن في نفوس المؤمنين وذلك من خلال إعقاب الوعد بالوعيد، وحتى يضبط القرآن الكريم النفس جاء بهذا الأسلوب في عدد من آياته ومن ذلك قوله تعالى: {إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ. وإن الفجار لفي جحيم} [الانفطار ١٣-١٤].

قد تكرر في سورة الأعلى: تسلية للرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم، ووعدٌ له بالنصر، وحصل الأمر كما أخبر الله عز وجل، خرج النبي عليه الصلاة والسلام مهاجراً منهم، وحصل بينه وبينهم حروب، وفي السنة الثانية من الهجرة قُتل من صناديد قريش وكبرائهم وزعمائهم نحو أربعة وعشرين رجلاً، منهم قائدهم أبو جهل، وبعد ثماني سنوات بل أقل من ثماني سنوات دخل النبي صلى الله عليه وسلّم مكة فاتحاً منصوراً ظافراً، حتى إنه قال كما جاء في التاريخ وهو ممسك بعضادتي باب الكعبة وقريشٌ تحته[2].

{سنقرئك فلا تنسى. إلا ما شاء الله إنه يعلم الجهر وما يخفى} هذا وعد من الله سبحانه وتعالى لرسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه يقرئه القرآن ولا ينساه الرسول صلى الله عليه وسلّم.

---

(١) المهذب في تفسير جزء عم شحود ٥٨٥.

(٢) تفسير جزء عم ابن عثيمين ص١٥٤. وانظر: زاد المعاد ٣/ ٣٤٧.

{ونيسرك لليسرىٰ} وهذا وعد من الله عز وجل لرسوله عليه الصلاة والسلام أن ييسره لليسرىٰ، واليسرىٰ أن تكون أموره ميسرة، ولاسيما في طاعة الله عز وجل.

فرسول الله صلىٰ الله عليه وسلّم وعده الله بأن ييسره لليسرىٰ فيسهل عليه الأمور، ولهذا لم يقع النبي صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وسلم في شدة وضنك إلا وجد له مخرجاً عليه الصلاة والسلام.

والوعد: خبر من الله عز وجل، وخبره جل وعلا أكمل الأخبار صدقاً، ووعده لا يخلف.

**أسلوب التدبر والاعتبار:**

القرآن أُنزل لأمورٍ ثلاثةٍ؛ الأول: التعبد لله بتلاوته. والثاني: التدبر لمعانيه. والثالث: الاتعاظ به، قال تعالىٰ: {كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ}، فالقرآن ذكرىٰ وموعظة لمن عقل وتدبّر.

وحين يتدبر الإنسان الأشياء التي حوله بحس مفتوح سيعلم صدق الشارع والشرع. وهذا الإدراك لا يستعصي علىٰ أي إنسان في أي بيئة، وعلىٰ أي درجة من درجات العلم الكسبي، متىٰ تفتحت منافذ القلب، وتيقظت بصيرته.

ومما تكرر ذكره في هذه السورة: الليل والنهار، وهما ظاهرتان شاملتان، ولهما دلالة للقلب البشري وتأثير فيه؛ وذلك عند التدبر والتفكر فيهما وفيما وراءهما. والنفس تتأثر تأثراً تلقائياً بتقلب الليل والنهار؛ الليل إذا يغشىٰ ويعم، والنهار إذا تجلىٰ وأسفر. ولا يملك البشر من أمرها شيئاً. وهذا التقلب من قدرة الله وحده.

ومثل ذلك خلق الإنسان، وهو متكرر في هذه السور، ومنه قوله تعالىٰ: {فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ} "الفاء للدلالة علىٰ أنه يكون علىٰ كل نفس حافظ، يوجب علىٰ الإنسان أن يتفكر وليتدبر خلقته ومبدأه؛ فإنه مخلوق"[1].

{إن في ذلك لعبرة لمن يخشىٰ} أي: فيما جرىٰ من إرسال موسىٰ إلىٰ فرعون ومحاورته إياه واستهتار فرعون به واستكباره عن الانقياد له عبرة، {لمن يخشىٰ} أي يخشىٰ الله عز وجل، فمن كان عنده

---

(١) تفسير جزء عم -عبدالملك القاسم ٨٢.

خشية من الله وتدبر ما حصل لموسىٰ مع فرعون والنتيجة التي كانت لهذا ولهذا فإنه يعتبر ويأخذ من ذلك عبرة، والعبر في قصة موسىٰ كثيرة ولو أن أحداً انتدب لجمع القصة من الآيات في كل سورة ثم يستنتج ما حصل في هذه القصة من العبر لكان جيداً، وذلك بأن يأتي بالقصة كلها في كل الآيات، لأن السور في بعضها شيء ليس في البعض الآخر، فإذا جمعها وقال مثلاً يؤخذ من هذه القصة العظيمة العبر التالية ثم يسردها"[1].

وتكرار الأمر بالنظر والاعتبار مع تنوع ألفاظها وأساليبها؛ يوحي بأمرٍ وقصدٍ مباشر، مثل: {فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسانُ إِلىٰ طَعامِهِ ..}، {فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسانُ مِمَّ خُلِقَ؟ ..}، {أَفَلا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ؟ وَإِلَى السَّماءِ كَيْفَ رُفِعَتْ؟ وَإِلَى الْجِبالِ كَيْفَ نُصِبَتْ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ؟}. » .. أو بأمرٍ يكون نتيجة التوجيه ولفت النظر؛ فهو يقرأ: {أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمِ السَّماءُ بَناها؟ رَفَعَ سَمْكَها فَسَوَّاها. وَأَغْطَشَ لَيْلَها وَأَخْرَجَ ضُحاها. وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذلِكَ دَحاها. أَخْرَجَ مِنْها ماءَها وَمَرْعاها. وَالْجِبالَ أَرْساها. مَتاعاً لَكُمْ وَلِأَنْعامِكُمْ}، {أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهاداً؟ وَالْجِبالَ أَوْتاداً؟ وَخَلَقْناكُمْ أَزْواجاً؟ وَجَعَلْنا نَوْمَكُمْ سُباتاً؟ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِباساً؟ وَجَعَلْنَا النَّهارَ مَعاشاً؟ وَبَنَيْنا فَوْقَكُمْ سَبْعاً شِداداً؟ وَجَعَلْنا سِراجاً وَهَّاجاً؟ وَأَنْزَلْنا مِنَ الْمُعْصِراتِ ماءً ثَجَّاجاً؟ لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَباتاً وَجَنَّاتٍ أَلْفافاً؟}، {أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا. ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا. فَأَنْبَتْنا فِيها حَبًّا وَعِنَباً وَقَضْباً وَزَيْتُوناً وَنَخْلًا، وَحَدائِقَ غُلْباً، وَفاكِهَةً وَأَبًّا. مَتاعاً لَكُمْ وَلِأَنْعامِكُمْ}، وهو يقرأ: {يا أَيُّهَا الْإِنْسانُ. ما غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ، الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ، فِي أَيِّ صُورَةٍ ما شاءَ رَكَّبَكَ؟}، ويرتل: {سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى، الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ، وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدىٰ. وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعىٰ. فَجَعَلَهُ غُثاءً أَحْوىٰ}. وهو يقرأ: {إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ، وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ، وَإِذَا الْجِبالُ سُيِّرَتْ، وَإِذَا الْعِشارُ عُطِّلَتْ، وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ، وَإِذَا الْبِحارُ سُجِّرَتْ، وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ، وَإِذَا الْمَوْؤُدَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ؟ وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ، وَإِذَا السَّماءُ كُشِطَتْ، وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ، وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ.

---

(١) تفسير جزء عم ابن عثيمين ٤٩.

عَلِمَتْ نَفْسٌ ما أَحْضَرَت}، {إِذَا السَّماءُ انْفَطَرَتْ، وَإِذَا الْكَواكِبُ انْتَثَرَتْ، وَإِذَا الْبِحارُ فُجِّرَتْ، وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ. عَلِمَتْ نَفْسٌ ما قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ}. {إِذَا السَّماءُ انْشَقَّتْ. وَأَذِنَتْ لِرَبِّها وَحُقَّتْ. وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ، وَأَلْقَتْ ما فِيها وَتَخَلَّتْ، وَأَذِنَتْ لِرَبِّها وَحُقَّتْ}.

وفي قوله تعالىٰ: {كلا لما يقض ما أمره} أن كل إنسان إلا القليل مقصر في حق اللهّٰ، فلا يقضي أحد ما أمر به، من الإيمان والطاعة، والتأمل في دلائل اللهّٰ، والتدبر في عجائب خلق اللهّٰ وبينات حكمته.

وفي قوله تعالىٰ: {متاعاً لكم ولأنعامكم}، وقوله {فلينظر الانسان إلىٰ طعامه} ما ترشد إليه الآياتُ من أمر اللهّٰ تعالىٰ بالنظر والاستدلال والتدبر إلىٰ الطعام الذي يتناوله الإنسان، ويعيش به، كيف دبّر اللهّٰ أمره، من إنزال الماء من السماء، ثم شق الأرض بالنبات أو بالحراثة علىٰ الدواب أو بالآلات، وإخراج أنواع النبات المختلفة.

وفي قوله تعالىٰ: {يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم الذي خلقك فسواك فعدلك؟} "إن خلق الإنسان علىٰ هذه الصورة الجميلة السوية المعتدلة، الكاملة الشكل والوظيفة، أمر يستحق التدبر الطويل، والشكر العميق، والأدب الجم، والحب لربه الكريم، الذي أكرمه بهذه الخلقة، تفضلاً منه ورعاية ومنة. فقد كان قادراً أن يركبه في أية صورة أخرىٰ يشاؤها، فاختار له هذه الصورة السوية المعتدلة الجميلة.

وإن الإنسان لمخلوق جميل التكوين، سوي الخلقة، معتدل التصميم، وإن عجائب الإبداع في خلقه لأضخم من إدراكه هو، وأعجب من كل ما يراه حوله.

وإن الجمال والسواء والاعتدال لتبدو في تكوينه الجسدي، وفي تكوينه العقلي، وفي تكوينه الروحي سواء، وهي تتناسق في كيانه في جمال واستواء"[1].

وقال تعالىٰ: {إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق} "في هذه الآيات من العِبَر: أن الله سبحانه وتعالىٰ قد يسلط أعداءه علىٰ أوليائه، فلا تستغرب إذا

---

(١) المهذَّبُ في تفسيرِ جزء عَمَّ ص٢٨٣.

سلط الله عز وجل الكفار على المؤمنين وقتلوهم وحرقوهم، وانتهكوا أعراضهم، لا تستغرب فلله تعالى في هذا حكمة، المصابون من المؤمنين أجرهم عند الله عظيم، وهؤلاء الكفار المعتدون أملى لهم الله سبحانه وتعالى ويستدرجهم من حيث لا يعلمون، والمسلمون الباقون لهم عبرة وعظة فيما حصل لإخوانهم، فمثلاً نحن نسمع ما يحصل من الانتهاكات العظيمة، انتهاك الأعراض، وإتلاف الأموال، وتجويع الصغار والعجائز، نسمع أشياء تبكي، فنقول: سبحان الله ما هذا التسليط الذي سلطه الله على هؤلاء المؤمنين؟ نقول يا أخي لا تستغرب فالله سبحانه وتعالى ضرب لنا أمثالاً فيمن سبق يحرقون المؤمنين بالنار، فهؤلاء الذين سلطوا على إخواننا في بلاد المسلمين هذا رفعة درجات للمصابين، وتكفير السيئات، وهو عبرة للباقين، وهو أيضاً إغراء لهؤلاء الكافرين حتى يتسلطوا فيأخذهم الله عز وجل أخذ عزيز مقتدر"[1].

وقال تعالى: {إنه لقول فصل وما هو بالهزل} "أي: ما هو باللعب والعبث واللغو، بل هو حق، كلماته كلها حق، أخباره صدق، وأحكامه عدل، وتلاوته أجر، لو تلاه الإنسان كل أوانه لم يمل منه، وإذا تلاه بتدبر وتفكر فتح الله عليه من المعاني ما لم يكن عنده من قبل، وهذا شيء مشاهد، اقرأ القرآن وتدبره، كلما قرأته وتدبرته حصل لك من معانيه ما لم يكن يحصل لك من قبل، كل هذا لأنه فصل وليس بالهزل، لكن الكلام اللغو من كلام الناس كلما كررته مجته وكرهته ومللته أما كتاب الله فلا"[2].

ويوجه القرآن أنظار المخاطبين إلى تدبر خلق الإبل؛ وهي بين أيديهم، لا تحتاج منهم إلى نقلة ولا علم جديد {أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت؟} أي: أفلا ينظرون إلى خلقتها وتكوينها؟ ثم يتدبرون: كيف خلقت على هذا النحو المناسب لوظيفتها، المحقق لغاية خلقها، المتناسق مع بيئتها ووظيفتها جميعاً! إنهم لم يخلقوها، وهي لم تخلق نفسها! فلا يبقى إلا أن تكون من إبداع الخالق، المتفرد بتلك الصنعة التي تدل عليه، وتقطع بوجوده؛ كما تشي بتدبيره وتقديره.

---

(١) تفسير جزء عم ابن عثيمين ١٣٠.

(٢) تفسير جزء عم ابن عثيمين ١٥٢.

{وإلى السماء كيف رفعت؟} لم يرفعوها، وهي لم ترفع نفسها! فلا بد لها من رافع ولا بد لها من مبدع، لا يحتاج الأمر إلى علم ولا إلى كد ذهن؛ فالنظرة الواعية وحدها تكفي.

{وإلى الجبال كيف نصبت؟} تبرز الجبال منصوبة السنان لا راسية ولا ملقاة، وتبرز في المشهد الهائل في المساحة الشاسعة.

{وإلى الأرض كيف سطحت؟} والأرض مسطوحة أمام النظر، ممهدة للحياة والسير والعمل، والناس لم يسطحوها؛ فقد سُحطت قبل أن يكونوا هم، أفلا ينظرون إليها ويتدبرون ما وراءها، ويسألون: من سطحها ومهدها هكذا للحياة تمهيداً"[1].

وكذلك يقسم الله سبحانه بنفسه وصفاته وكلامه ويقسم ببعض مخلوقاته في الكون، ويقسم بالنفس وتسويتها وإلهامها. ومن شأن هذا القسم أن يخلع على المقسم به قيمة كبرى؛ وأن يوجه إليه القلوب تتملاها وتتدبر ماذا لها من قيمة؟ وماذا بها من دلالة؛ حتى استحقت أن يقسم بها الجليل العظيم سبحانه.

تأمل آية: {هَل فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حجرٍ} يقولُ تعالى: هل فيما أقسمتُ به من هذه الأمورِ مَقْنَعٌ لصاحبِ عقل، والمعنى: إنَّ هذه الأقسامَ فيها مُكْتَفَى لمن له عقلٌ يتدبَّرُ به ويتفكَّر، فيعقِلُ عن ربه أوامرَه ونواهيه"[2].

وتأمل آية: {كلا. بل لا تكرمون اليتيم} ففي هذه الآيات فوق الكشف عن واقع نفوسهم؛ تنديد بهذا الواقع، وردع عنه، يتمثل في تكرار كلمة {كلا}.

وقوله: {دَكًّا دَكًّا} يدل على تكرار الدكّ حتى صارت الجبال هباء منبثا.

ولقد تكررت قصص فرعون وثمود وعاد في القرآن مراراً، مسهبة حيناً ومقتضبةً حيناً حسب حكمة التنزيل بسبب تكرر المناسبات والمواقف، والغرض من تكرار القصص في مواضع مختلفة من القرآن الكريم هو التذكير بها، والعظة والعبرة منها، إما بالاستدلال على قدرته تعالى، وإما

---

(١) انظر: المهذب في تفسير جزء عم شحود ٥٣٣-٥٣٤ بتصرف.

(٢) تفسير جزء عم الطيار ص١٣٩.

ببيان قهره العباد، وإما بإنذارهم وتخويفهم، ليدركوا أن ما جرىٰ علىٰ شخص أو قوم، يجري علىٰ النظير والمثيل.

**أسلوب التوكيد:**

من الأساليب المميزة والرائعة في القرآن الكريم "أسلوب التوكيد" الذي يعد أسلوباً من أساليب الخطاب في اللغة العربية، غير أنه في القرآن الكريم كان أسلوباً ملفتاً للانتباه، والقرآن يهدف في المقام الأول إلىٰ ترسيخ العقائد، والعبادات في النفوس عن طريق الأسلوب المعجز والاستخدام الرائع لفنون الكلام، فإنه لم يغفل هذا النوع من البلاغة.

والتوكيد: تمكين الشيء في النفس وتقوية أمره[1]. وهو نوعان: لفظيٌ، ومعنويٌ.

التوكيد اللفظي: هو تكرار اللفظ المؤكد بنصه أي بالحروف كلها، ولا بأس أن يدخل علىٰ هذا التنصيص بعض التغيير كقوله تعالىٰ: ﴿فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدا﴾[الطارق: ١٧].

والمؤكد والمتبوع قد يكون اسما أو فعلا أو حرفا أو جملة: مثال توكيد اسم قوله تعالىٰ: ﴿كَلاَّ إِذَا دُكَّتِ الأرض دكا. وجاء ربك والملك صفا صفا﴾ [الفجر: ٢١-٢٢]، وتوكيد الجملة قوله تعالىٰ: ﴿كَلاَّ سَيَعْلَمُونَ ثُمّ كَلاَّ سَيَعْلَمُونَ﴾ [النبأ: ٤-٥].

ومن أغراض التوكيد: تقرير المؤكد في نفس السامع وتمكينه في قلبه، وإزالة ما في نفسه من الشبهة فيه، وتمكين السامع من تدارك لفظ لم يسمعه، أو سمعه لكن لم ينتبه، وقد يكون الغرض التهديد، كقوله تعالىٰ في خطاب المعاندين بالباطل: ﴿كَلاَّ سَيَعْلَمُونَ ثُمّ كَلاَّ سَيَعْلَمُونَ﴾ [النبأ: ٤-٥]، وقد يكون الغرض منه التهويل، كقوله: ﴿ومَا أَدْرَاكَ مَا يَوْم الدِّينِ ﴾[الانفطار: ١٧-١٨].

والتوكيد المعنوي: هو تابع يزيل عن متبوعه ما لا يراد من احتمالات معنوية تتجه إلىٰ ذاته مباشرة أو إلىٰ العموم والشمول المناسبين لمدلوله، ويكون التوكيد المعنوي بذكر ألفاظ تناسب المؤكد في المعنىٰ، ويمكن حصرها في: النفس، العين، كلا، كلتا وكل وجميع وعامة وأجمع.

وفائدة هذا النوع من التوكيد: رفع احتمال أن يكون في الكلام السابق. والأدوات التي يؤكد بها

---

(١) الطراز للعلوي ٢/ ٩٤.

الخبر كثيرة منها: (إنَّ)، و (أنَّ)، و لام الابتداء، و (أمَّا) الشرطية، والسين وسوف، و قد، وضمير الفصل، والقسم، والحروف الزائدة، وأحرف التنبيه، ونونا التوكيد[1]. وذلك متكرر في سور أواسط المفصل، وممَّا يوضح ذلك:

أنَّ من صيغ التوكيد القسم: فإنَّ "القسم يؤكد الكلام، والقرآن الكريم نزل باللسان العربي وإذا كان من عادتهم أنهم يؤكدون الكلام بالقسم صار هذا الأسلوب جارياً على اللسان العربي الذي نزل به القرآن"[2].

"قولُه تعالى: {كَلاَّ سَيَعْلَمُونَ *ثُمَّ كَلاَّ سَيَعْلَمُونَ}.. وكرَّر الوعيدَ لتأكيدِه."[3].

"{كلا سيعلمون. ثم كلا سيعلمون} والجملة الثانية توكيدٌ للأولى من حيث المعنى، وإن كانت ليست توكيداً باعتبار اصطلاح النحويين"[4]. "وفي تكرار الخبر، توكيد له، وتقرير لتلك الحقيقة السافرة، التي تقوم بين يديها ومن خلفها، الأدلة القاطعة، والبراهين الناطقة!"[5]. قال أهل المعاني: تكرير الردع مع الوعيد دليل على غاية التهديد، وفي (ثُمَّ) إشارة إلى أن الوعيد الثاني أبلغ من الأول[6].

قولُه تعالى: {إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا} "أكَّد الخبر بـ «إن» لأنه مما كان يخالف فيه المشركون، وقد وقعت هذه الآية بعد قوله تعالى: {وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا *لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا}

---

(١) أنظر: التوكيد وتطبيقاته في القران الكريم، إعداد: قاسمي سليمان/ عبدلي نورالدين، إشراف: معمر زروقي، ودراسة وظيفية لأسلوب التوكيد في القرآن الكريم، إعداد: عائشة عبيزة، إشراف: السعيد هادف.

(٢) تفسير جزء عم ابن عثيمين ص١١٦.

(٣) تفسير جزء عم الطيار ص٢٢.

(٤) تفسير جزء عم ابن عثيمين ص٢٥.

(٥) المهذب في تفسير جزء عم الشحود ص٨٠.

(٦) المهذب في تفسير جزء عم الشحود ٧٨.

[النبأ: ١٤-١٦]، للمشابهة التي بين خروج النبات وخروج الناس من قبورهم يوم البعث"[١].

قولُه تعالىٰ: {وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا} "بُني الفعل: فُتحت للمفعول للاهتمام بالحدث، وقرئ بتشديد التاء، وفيه مبالغة: إما لكَثرة الفتح، وإما لشدَّته. وجاء الفعل ماضياً، والحدث لم يقع بعد، لتأكُّد وقوعه وتحقُّقه، وفي هذا الحدث فساد لنظام هذا الجِرم العظيم، وهو إيذانٌ بنهاية هذا العالم الفاني"[٢].

قوله: {فَلَنْ نَزِيدَكُمْ} وكلمة «لن» للتأكيد في النفي[٣].

"{فلا أقسم بالخنس} قوله تعالىٰ: {فلا أقسم} قد يظن بعض الناس أن {لا} نافية وليس كذلك، بل هي مثبتة للقسم ويؤتىٰ بها بمثل هذا التركيب للتأكيد. فالمعنىٰ {أقسم بالخنس}"[٤]

قولُه تعالىٰ: {وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ} "أُكِّدت هذه الجملة بثلاث مؤكِّدات: إن، واللام، والجملة الاسمية. وقدَّم الجار والمجرور «عليكم» ـ الذي يعود إليهم ـ للاهتمام به؛ لأنهم الذين من أجلهم سيق الكلام. وفي حرف «علىٰ» ما يفيد التسلُّط والمراقبة من الحَفَظَة"[٥].

قولُه تعالىٰ: {وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ} "جاءت الجملة الاسمية منفية للدلالة علىٰ ثبوت هذا النفي واستمرارِه؛ أي: هم لا يغيبون أبداً عن النار، بل يلازمونها ملازمةً دائمة. والباء في «بغائبين» فيها تأكيد لهذا النفي، وقدَّم الجار والمجرور للاهتمام بالمصير الذي يصيرونَ إليه، وهو النار"[٦]

{كلا إن كتاب} {إنَّ} في اللغة العربية من أدوات التوكيد في الموضعين.

{لتركبن طبقاً عن طبق} هذه الجملة جواب القسم وهي مؤكدة بثلاث مؤكدات: القسم، واللام،

---

(١) تفسير جزء عم الطيار ص٢٤.

(٢) تفسير جزء عم الطيار ص٢٥.

(٣) المهذب في تفسير جزء عم الشحود ١٠٠.

(٤) تفسير جزء عم ابن عثيمين ٧٥ تفسير جزء عم والطيار ٦٩.

(٥) تفسير جزء عم الطيار ٨٠ وانظر: تفسير جزء عم ابن عثيمين ٩٠.

(٦) تفسير جزء عم الطيار ٨٠.

ونون التوكيد والخطاب هنا لجميع الناس، أي لتتحولن حالاً عن حال، وهو يعني أن الأحوال تتغير فيشمل أحوال الزمان، وأحوال المكان، وأحوال الأبدان، وأحوال القلوب[1].

" {وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد} أي ما أنكر هؤلاء الذين سعروا النار بأجساد هؤلاء المؤمنين إلا هذا، أي: إلا أنهم آمنوا بالله عز وجل {إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد} وهذا من باب توكيد الذم بما يشبه المدح، لأن الإيمان بالله ليس محل إنكار وهذا الإنكار أحق أن ينكر؛ لأن المؤمن بالله العزيز الحميد يجب أن يساعد ويعان، وأن تسهل له الطرق"[2]

" {لا أقسم بهذا البلد} {لا} للاستفتاح، أي: استفتاح الكلام وتوكيده، وليست نافية، لأن المراد إثبات القسم، يعني أنا أقسم بهذا البلد لكن (لا) هذه تأتي هنا للتنبيه والتأكيد و {أقسم} القسم تأكيد الشيء بذكر معظم على وجه مخصوص."[3]

" {لقد خلقنا الإنسان في كبد} اللام هنا واقعة في جواب القسم، لتزيد الجملة تأكيداً، و (قد) تزيد الجملة تأكيداً أيضاً فتكون جملة {لقد خلقنا الإنسان} مؤكدة بثلاثة مؤكدات، وهي: القسم، واللام"[4].

" {والذين كفروا بآياتنا هم أصحاب المشئمة} {هم}: الضمير هنا جاء للتوكيد، ولو قيل في غير القرآن: والذين كفروا بآياتنا أصحاب المشئمة. لصح لكن هذا من باب التوكيد"[5].

**أسلوب التكرار:**

التكرار أسلوب متميز في القرآن الكريم عن بقية اللغات، فلا يأتي إلا لتقديم فائدة جديدة وحجة وبيان، ومن فوائده أنه يأتي للتذكير، والرفع من قيمة الشيء، وتنبيه الغافل، وإزالة التوهم،

---

(١) تفسير جزء عم لابن عثيمين ص١١٧.

(٢) تفسير جزء عم ابن عثيمين ١٢٦.

(٣) تفسير جزء عم ابن عثيمين ٢١٠.

(٤) تفسير جزء عم ابن عثيمين ٢١٢.

(٥) تفسير جزء عم ابن عثيمين ٢١٨.

وتعديد الآلاء والنعم، والتكرير أبلغ من التأكيد، وهو من محاسن الفصاحة لمن تدبره، "وليس في القرآن تكرار محض، بل لابد من فوائد في كل خطاب"(١). وفي سور أواسط المفصل مواضع توضح هذا الأسلوب، منها:

قوله تعالى: {كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ} للمبالغة في التأكيد والتشديد.

قوله تعالى: {مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ. ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ. ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ. ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ} "يلاحظ في الآيات السابقة تكرُّر العطف بـ «الفاء»، و «ثم»، أما الأُولى: فللدلالة على تعاقُبِ الحَدَثَيْن، وسُرعة وجودِ الآخِر بعد الأول. وأما الثاني: فللدلالة على تراخٍ وبُعْدٍ بين الحدَثَين؛ فقوله تعالى: {مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ}، إشارة إلى أنَّ الأطوارَ المقدَّرة تعقُبُ حالَ النطفة، ثم قال: {ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ}، وهذا إشارة إلى طول الزمان الذي يقرُّ فيه الجنين في البطن بعد التقدير، ثم قال: {ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ}، وهذا يدلُّ على تراخٍ بين خروجه من بطن أمه إلى موته، وهي فترة الحياة التي يعيشها، أما الفترة التي بين موتهِ ودفنِه فإنها يسيرة، ولذا جاء التعقيب بالفاء، ولمَّا كان الزمن بين الموت والبعث طويلاً، جاء التعقيب بحرف العطف «ثم»، والله أعلم"(٢).

قولُه تعالى: {كَلاَّ بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ} " في مجيء الفعل «تكذبون» مضارعاً، إشعارٌ بتجدُّد تكذيبهم وتكرُّر وقوعه منهم"(٣).

قولُه تعالى: {وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ *ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ} "كرَّرَ الاستفهامَ لتهويلِ أمرِ هذا اليومِ وتعظيمه"(٤).

"{وَما أَدْراكَ ما يَوْمُ الدِّينِ، ثُمَّ ما أَدْراكَ ما يَوْمُ الدِّينِ} أي وما أعلمك وما أعرفك ما يوم الجزاء والحساب، وكرر الجملة تعظيما لشأن يوم القيامة، وتفخيما لقدره، وتهويلا لأمره، مما يستدعي

---

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية ١٤/ ٤٠٨.

(٢) تفسير جزء عم الطيار ٥٥.

(٣) تفسير جزء عم الطيار ٧٩.

(٤) تفسير جزء عم الطيار ٨٠.

التدبر والتأمل، فلو عرف المرء تلك الأهوال، لما فارق طاعة الله ساعة، وابتعد عن المعصية بعد السماء من الأرض، ولكن الإنسان في غفلة وسهو وتجاهل، يعيش في الآمال، ويعتمد على الأحلام أحيانا، ويهرب من الواقع"[1].

"قولُه تعالى: {كَلاَّ إِنَّهُمْ عَنْ رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ *ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُو الْجَحِيمِ *ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ}: هذا تكرارٌ للرَّدِّ على أولئك المكذِّبين، وبيانُ أنهم ممنوعونَ من رؤيةِ اللهِ سبحانه، ثمَّ إنهم سيدخُلونَ النارَ التي تشويهم بحرِّها، ثم تقولُ لهم ملائكةُ العذابِ: هذا العذابُ الذي كنتم لا تصدِّقونَ به"[2].

جاء فعل الضَّحِكِ مضارعاً، للدلالة على تكرُّر هذا الحدث منهم، وهذا الفعلُ حكاية عنهم في الدنيا بدلالة قوله: «كانوا» التي تدل على الماضي، ودلالة قوله: «فاليوم الذين آمنوا ...».

وجاء الفعل «يتغامزون» مضارعاً، للدلالة على تكرُّر الحدث أو لاستحضاره في ذهن السامع[3].

قولُه تعالى: {وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا} ينادُون بالهلاك على أنفسِهم، ويدخلونَ نار جهنَّمَ التي أُوقِدَتْ مرةً بعد مرةٍ، فتشويهُم وتحرقُهم بحرِّها. في قوله: {يَصْلَىٰ} قراءتان، الأولى: بتخفيف اللام، والثانية بتشديدها، وفائدة التَّشْدِيد كما قال الطبري: «أن الله يصليهم تَصْلِيَةً بعد تَصْلِيَة، وإنضاجَةً بعد إنضاجةٍ..»، وهذا يعني أن صيغة «فَعَّلَ» تدل على تكرُّرِ الحدَث وتكثيرِه. أما قراءة التخفيف، فتدل على أنهم يدخلونها ويَرِدونها فقط، دون معنى التكرار، والله أعلم[4].

" ثم وعد رسوله بالنصر عليهم، وأمره بالصبر والتمهل، فقال: {فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ، أَمْهِلْهُمْ رُوَيْداً} أي أخّرهم وأنظرهم، ولا تدع بهلاكهم، ولا تستعجل به، وارض بما يدبره اللَّه لك في أمورهم. ثم كرر ذلك المعنى للمبالغة، فقال: أمهلهم إمهالا يسيرا قليلا، أو قريبا، وسترى ما يحل بهم من

---

(١) المهذب في تفسير جزء عم الشحود ٢٩١.

(٢) تفسير جزء عم الطيار ٨٨-٨٩.

(٣) تفسير جزء عم الطيار ٩٣.

(٤) تفسير جزء عم الطيار ص٩٩ مختصرا.

العذاب والنكال، والعقوبة والهلاك، كما قال تعالى: {نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا، ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَى عَذَابٍ غَلِيظٍ} [لقمان: ٢٤].

وهذا وعيد شديد، تحقق يوم بدر، ويعقبه عذاب يوم القيامة، وفيه تحذير عن مثل سيرتهم، وترغيب في خلاف طريقتهم"[١].

**أسلوب التنويع:**

قال تعالى: {وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا} [الإسراء: ٤١]، فالتصريف في القرآن يعني التنويع، والانتقال من حال إلى حال بأساليب متعددة، وطرق مختلفة، بمعنى أنَّه يتضمن الأحكام التشريعية، والعقائد، والأخلاق، وغيرها، ويأتي بها بأساليب متنوِّعة، من وعد ووعيد، وترغيب وترهيب، ونحوها، ويعرض هذه الأساليب بطرق مختلفة، غاية في الوضوح والبيان، والروعة والإعجاز، الأمر الذي جعله يشدّ الأسماع إلى السماع، ويستميل النفوس ويؤثر فيها. وقد وقع هذا التنويع في سور أواسط المفصل:

قال تعالى: {وخلقناكم أزواجاً} أي أصنافاً ما بين ذكر وأنثى، وصغير وكبير، وأسود وأحمر، وشقي وسعيد إلى غير ذلك مما يختلف الناس فيه، فهم أزواج مختلفون على حسب ما أراده الله عز وجل واقتضته حكمته ليعتبر الناس بقدرة الله تعالى، وأنه قادر على أن يجعل هذا البشر الذين خلقوا من مادة واحدة ومن أب واحد على هذه الأصناف المتنوعة المتباينة[٢].

ثم بيَّن حال الناس وانقسامهم لفريقين: "{إن يوم الفصل كان ميقاتاً} وهو يوم القيامة، وسمي يوم فصل لأن الله يفصل فيه بين العباد فيما شجر بينهم، وفيما كانوا يختلفون فيه، فيفصل بين أهل الحق وأهل الباطل، وأهل الكفر وأهل الإيمان، وأهل العدوان وأهل الاعتدال، ويفصل فيه أيضاً بين أهل الجنة والنار، فريق في الجنة وفريق في السعير"[٣].

---

(١) التفسير المنير وهبة الزحيلي ٣٠/ ١٨٣.

(٢) تفسير جزء عم ابن عثيمين ٢٦.

(٣) تفسير جزء عم ابن عثيمين ٢٩.

ونوَّع لأهل الجنة النعيم؛ وأبلغه إثبات التنعم ونفي ضده كما قال تعالىٰ: {إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازاً * حَدَآئِقَ وَأَعْنَباً * وَكَوَاعِبَ أَتْرَاباً * وَكَأْساً دِهَاقاً * لاَّيَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً وَلاَ كِذَباً * جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَاباً} فأثبت غاية التنعم بأمثلة يدركها الناس، ثم نفىٰ عنهم المنغصات والمكدرات للنعيم {لاَّيَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً وَلاَ كِذَباً * جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَاباً}.

ونوَّع في الملائكة، فقال تعالىٰ: {والنازعات} يعني الملائكة الموكلة بقبض أرواح الكفار تنزعها {غرقا} أي نزعاً بشدة. {والناشطات نشطا} يعني الملائكة الموكلة بقبض أرواح المؤمنين، تنشطها نشطاً: أي تسلها برفق. وهذا من أعظم الأساليب تأثيرا في النفس.

{فالمدبرات أمراً} أيضاً وصف للملائكة تدبر الأمر، وهو واحد الأمور يعني أمور الله عز وجل لها ملائكة تدبرها، حسب أمره فجبرائيل موكل بالوحي يتلقاه من الله وينزل به علىٰ الرسل، وإسرافيل موكل بنفخ الصور الذي يكون عند يوم القيامة ينفخ في الصور فيفزع الناس ويموتون، ثم ينفخ فيه أخرىٰ فيبعثون، وميكائيل موكل بالقطر وبالمطر والنبات، وملك الموت موكل بالأرواح، ومالك موكل بالنار، ورضوان موكل بالجنة، وعن اليمين وعن الشمال قعيد موكل بالأعمال، وملائكة موكلون بحفظ أعمال بني آدم كلٌّ يدبر ما أمره الله عز وجل به[1].

ونوَّع في الحدث الواحد كيوم القيامة: {يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة}

وجعل "الناس قسمين: {قلوب يومئذ واجفة. أبصارها خاشعة} وأما القسم الثاني فقلوبهم علىٰ عكس قلوب هؤلاء ويدل لهذا التقسيم قوله: {قلوب يومئذ} بصيغة النكرة، فيكون المعنىٰ: وقلوب علىٰ عكس ذلك"[2].

ونوع في مخلوقاته وخصائصها: {أَءَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمِ السَّمَآءُ بَنَاهَا * رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا * وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا * وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا * أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَاهَا * وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا * مَتَاعاً لَّكُمْ وَلأَنْعَامِكُمْ}.

---

(١) تفسير جزء عم ابن عثيمين ٤١.

(٢) تفسير جزء عم ابن عثيمين ٤٢ مختصرا.

ومن تتبع آيات السور في أواسط المفصل وتدبرها وجد هذا التنوع كثيرا لاينقضي منه عجب العاقل اللبيب.

**أسلوب القسم:**

نزل القرآن الكريم للناس كافة، ووقف الناس منه مواقف متباينة ومتخالفة؛ فمنهم مهتد موقن، ومنهم ضال منكر، ومنهم مصدق موافق، ومنهم مكذب مخاصم. وقد استدعت هذه المواقف المتباينة والمتخالفة أن يتوجه القرآن إلى كلٍّ منها بما يناسبه من خطاب، وبما يلائمه من أسلوب. وكان من الأساليب التي سلكها القرآن مع الكافرين والجاحدين أسلوب (القَسَم)، إقامة للحجة عليهم.

والغالب على أقسام القرآن: أن يكونَ القسمُ بما هو ظاهرٌ للناس، أو له آثار ظاهرة.

لو تدبرنا أمر القسم ببعض المخلوقات في الكتاب الكريم لوجدناه **يرجع إلى أحد أمرين:**

١) أن تكون هذه المخلوقات قد عظمت في أعين بعض الناس، وقوى سلطانها في نفوسهم، حتى عبدوها واتخذوها آلهة من دون اللهّ كالشمس والقمر في نحو قوله: {والشَّمْسِ وَضُحاها. وَالْقَمَرِ إِذا تَلاها} وقد ذكر سبحانه بجانب ذلك بعض صفاتها الدالة على أنها مخلوقة له كتغيرها من حال إلى حال، وما يطرأ عليها من الأفول والزوال، مما لا يكون من شأن الآلهة المستحقة للعبادة.

٢) أن تكون مما احتقره الناس لغفلتهم عن فائدته، وذهولهم عن موضع العبرة فيه، ولو أنهم تدبروا فيما هو عليه من جليل الصنعة، وبديع الحكمة لاهتدوا إلى معرفة خالقهم، ونعتوه بما هو أهل له من صفات الجلال والكمال.

فأقسم سبحانه على التوحيد، وأقسم أنَّ القرآن حق، وحلف إنَّ الجزاء حق، وإن الناس سيبعثون إلى ربهم، وإن كلا منهم سيلاقي جزاء عمله، فقال تعالى: {وَالنَّازِعَتِ غَرْقاً * وَالنَّشِطَتِ نَشْطاً * وَالسَّبِحَتِ سَبْحاً * فَالسَّبِقَتِ سَبْقاً * فَالْمُدَبِّرَتِ أَمْراً} "فهذه الأوصاف كلها أوصاف للملائكة على حسب أعمالهم، وأقسم الله سبحانه وتعالى بالملائكة لأنهم من خير المخلوقات، ولا يقسم الله سبحانه

وتعالىٰ بشيء إلا وله شأن عظيم إما في ذاته، وإما لكونه من آيات الله عز وجل"[1].

"أقسم اللهّ بالنازعات والناشطات فالسابقات فالمدبرات لتبعثن بعد الموت. ولتنبؤن بما عملتم يوم ترجف الراجفة، وتضطرب الأرض والجبال بسبب النفخة الأولىٰ. وجواب القسم محذوف، أي لتبعثن بعد الموت، بدليل إنكارهم البعث كما حكىٰ اللهّ عنهم فيما بعد بقوله: {أَإِذا كُنَّا عِظاماً نَخِرَةً} أي: انبعث بعد نخر العظام؟

أما جواب القسم فهو علىٰ قول جمهور المفسرين محذوف مقدر بمعنىٰ توكيد بعث الناس مرة أخرىٰ. والآيات التالية قرائن قوية علىٰ ذلك أغنت عن ذكر الجواب. وهو ما تتحمله أساليب النظم العربي. وقد تكرر ذلك في النظم القرآني أيضا.

وقد أعقب آيات القسم توكيداً ربانياً بتحقيق وعد البعث وإشارة إلىٰ بعض ظروفه ومشاهده وأقوال الكفار عند وقوعه: فسوف ترجف الأرض مرة تردفها رجفة أخرىٰ حين حلول اليوم المعين. وسوف يستولي الرعب والاضطراب علىٰ قلوب كثيرة وتخشع أبصار أصحابها. وسوف يتساءل هؤلاء عما إذا كانوا حقا قد عادوا إلىٰ الحياة مرة ثانية بعد أن كانوا عظاما بالية ويقولون إن هذا إذا كان حقا فإنها لعودة خاسرة"[2].

"فإن قال قائل: لماذا يقسم الله علىٰ خبره وهو سبحانه الصادق بلا قسم؟ وكذلك يقسم النبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم علىٰ خبره وهو صادق بلا قسم؟

قلنا: إن القسم يؤكد الكلام، والقرآن الكريم نزل باللسان العربي وإذا كان من عادتهم أنهم يؤكدون الكلام بالقسم صار هذا الأسلوب جارياً علىٰ اللسان العربي الذي نزل به القرآن"[3].

{فَلاَ أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ* الْجَوَارِ الْكُنَّسِ* وَالَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ} فأقسم الله بهذه النجوم، ثم أقسم بالليل والنهار فقال: {والليل إذا عسعس. والصبح إذا تنفس}.. فيكون الله أقسم بالليل حال إقباله،

---

(١) تفسير جزء عم ابن عثيمين ٤٢.

(٢) المهذب في تفسير جزء عم-الشحود ص١٢٣ باختصار.

(٣) تفسير جزء عم لابن عثيمين ص١١٦.

وبالنهار حال إقباله. وإنما أقسم الله تعالى بهذه المخلوقات لعظمها وكونها من آياته الكبرى، فمن يستطيع أن يأتي بالنهار إذا كان الليل، ومن يستطيع أن يأتي بالليل إذا كان النهار، قال الله عز وجل: {قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمداً إلى يوم القيامة مَن إله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون. قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمداً إلى يوم القيامة مَن إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون} [القصص: ٧١- ٧٢]. {ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون} [القصص: ٧٣]. فهذه المخلوقات العظيمة يقسم الله بها لعظم المقسم عليه وهو قوله: {إنه لقول رسول كريم} {إنه} أي القرآن {لقول رسول كريم} هو جبريل عليه الصلاة والسلام، فإنه رسول الله إلى الرسل بالوحي الذي ينزله عليهم"[1].

"في هذه الآيات {إنه لقول رسول كريم. ذي قوة عند ذي العرش مكين} أقسم الله عز وجل على أن هذا القرآن قول هذا الرسول الكريم الملكي جبريل عليه الصلاة والسلام، وفي آية أخرى بين الله سبحانه وتعالى وأقسم أن هذا القرآن قول رسول كريم بشري في قوله تعالى: {فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون. إنه لقول رسول كريم. وما هو بقول شاعر} [الحاقة: ٣٨-٤١]. فالرسول هنا في سورة التكوير رسول ملكي أي من الملائكة وهو جبريل عليه الصلاة والسلام، والرسول هناك رسول بشري وهو محمد عليه الصلاة والسلام، والدليل على هذا واضح. هنا قال: {إنه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين} وهذا الوصف لجبريل، لأنه هو الذي عند الله، أما محمد عليه الصلاة والسلام فهو في الأرض. هناك قال: {فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون إنه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر} ردًّا لقول الكفار الذين قالوا إن محمداً شاعر: {ولا بقول كاهن} فأيهما أعظم قسماً! {فلا أقسم بالخنس. الجوار الكنس. والليل إذا عسعس. والصبح إذا تنفس إنه لقول رسول كريم ذي قوة} أو {فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون إنه لقول رسول كريم}، الثاني أعظم، ليس فيه شيء أعمّ منه {بما تبصرون وما لا

---

(١) تفسير جزء عم ابن عثيمين ٧٦.

تبصرون} كل الأشياء إما نبصرها أو لا نبصرها. إذن أقسم الله بكل شيء. وهنا أقسم بالآيات العلوية: {فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس. والليل إذا عسعس. والصبح إذا تنفس} هذه آيات علوية أفقية تناسب الرسول الذي أُقسم على أنه قوله وهو جبريل؛ لأن جبريل عند الله"[1].

" {فَلاَ أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ * وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ * وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ * لَتَرْكَبُنَّ طَبَقاً عَن طَبَقٍ * فَمَا لَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ * وَإِذَا قُرِىءَ عَلَيْهِمُ الْقُرْءَانُ لاَ يَسْجُدُونَ * بَلِ الَّذِينَ كَفَرُواْ يُكَذِّبُونَ * وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ * فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * إِلاَّ الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّلِحَتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ}.

{فلا أقسم بالشفق. والليل وما وسق. والقمر إذا اتسق. لتركبن طبقاً عن طبق}. هذه الجملة مكونة من قسم، ومُقسم به، ومقسم عليه، ومُقسِم، فالقسم في قوله: {لا أقسم بالشفق} قد يظن الظان أن معنى {لا أقسم} نفي، وليس كذلك بل هو إثبات و {لا} هنا جيء بها للتنبيه، ولها نظائر مثل {لا أقسم بهذا البلد}. {لا أقسم بيوم القيامة}. {فلا أقسم برب المشارق}. {فلا أقسم بما تبصرون}. وكلها يقول العلماء: إن (لا) فيها للتنبيه، وأن القسم مثبت، أما المقسِم فهو الله عز وجل أما المقسَم به في هذه الآية فهو الشفق وما عطف عليه.

فإن قال قائل: لماذا يقسم الله على خبره وهو سبحانه الصادق بلا قسم؟ وكذلك يقسم النبي صلى الله عليه وآله وسلم على خبره وهو صادق بلا قسم؟

قلنا: إن القسم يؤكد الكلام، والقرآن الكريم نزل باللسان العربي وإذا كان من عادتهم أنهم يؤكدون الكلام بالقسم صار هذا الأسلوب جارياً على اللسان العربي الذي نزل به القرآن.

وقوله: {بالشفق} الشفق هو الحمرة التي تكون بعد غروب الشمس. وإذا غابت هذه الحمرة خرج وقت المغرب ودخل وقت العشاء، هذا قول أكثر العلماء، {والليل وما وسق} هذا أيضاً مقسم به معطوف على الشفق، يعني وأقسم بالليل وما وسق وهذان قسمان {والليل وما وسق} الليل معروف {وما وسق} أي ما جمع، لأن الليل يجمع الوحوش والهوام وما أشبه ذلك، تجتمع وتخرج

---

(١) تفسير جزء عم ابن عثيمين ٧٩.

وتبرز من جحورها وبيوتها، وكذلك ربما يشير إلى اجتماع الناس بعضهم إلى بعض. {والقمر إذا اتسق} القمر معروف.

ومعنى {إذا اتسق} يعني إذا اجتمع نوره وتم وكمل، وذلك في ليالي الإبدار. فأقسم الله عز وجل {بالليل وما وسق} أي ما جمع. وبالقمر لأنه آية الليل، ثم قال بعد ذلك: {لتركبن طبقاً عن طبق} هذه الجملة جواب القسم وهي مؤكدة بثلاث مؤكدات: القسم، واللام، ونون التوكيد والخطاب هنا لجميع الناس، أي لتتحولن حالاً عن حال، وهو يعني أن الأحوال تتغير فيشمل أحوال الزمان، وأحوال المكان، وأحوال الأبدان، وأحوال القلوب"[1].

" {والسماء ذات البروج} الواو هذه حرف قسم يعني يقسم تعالى بالسماء {ذات البروج} أي صاحبة البروج، والبروج جمع برج، وهو المجموعة العظيمة من النجوم وسميت بروجاً لعلوها وارتفاعها وظهورها وبيانها،.. فيقسم الله تعالى بالسماء ذات البروج وله تعالى أن يقسم بما شاء من خلقه، أما نحن فلا نقسم إلا بالله، بأسمائه وصفاته، ولا نقسم بشيء من المخلوقات.

{وشاهد ومشهود} ذكر علماء التفسير في الشاهد والمشهود عدة أقوال يجمعها أن الله أقسم بكل شاهد وبكل مشهود،.. فأقسم الله بكل شاهد وبكل مشهود. {قتل أصحاب الأخدود} هذه الجملة جواب القسم"[2].

" {وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ} الواو هذه حرف قَسَم، يعني يقسم تعالى بالسماء وبروجها..{قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ}.. هو جواب القسم"[3].

{وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ} أقسم الله تعالى بالسماء والطارق، وكل منهما آية من آياته الدال على وحدانيته...{إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ} هذا جواب القسم: أي: ما كان نفس إلا عليها حافظ،

---

(١) تفسير جزء عم ابن عثيمين ١١٥-١١٧.

(٢) تفسير جزء عم ابن عثيمين ١٢٤-١٢٥ باختصار.

(٣) تفسير جزء عم -عبدالملك القاسم ٧٤ مختصراً.

عليها من أمر الله رقيب"[1]

"قد يظن الظان أن معنى {لا أقسم} نفي، وليس كذلك بل هو إثبات و {لا} هنا جيء بها للتنبيه، ولها نظائر مثل {لا أقسم بهذا البلد}. {لا أقسم بيوم القيامة}. {فلا أقسم برب المشارق}. {فلا أقسم بما تبصرون}. وكلها يقول العلماء: إن (لا) فيها للتنبيه، وأن القسم مثبت، أما المقسِم فهو الله عز وجل أما المقسَم به في هذه الآية فهو الشفق وما عطف عليه"[2].

وقد يشكل على بعض الناس كيف يقسم الله سبحانه وتعالى بالمخلوقات مع أن القسم بالمخلوقات شرك لقول النبي صلى الله عليه وسلّم: «من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك»[3]، وقال عليه الصلاة والسلام: «من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت»[4]. فلا يجوز الحلف بغير الله لا بالأنبياء، ولا بالملائكة، ولا بالكعبة، ولا بالوطن، ولا بأي شيء من المخلوقات؟

والجواب على هذا الإشكال أن نقول: إن الله سبحانه وتعالى له أن يقسم بما شاء من خلقه، وإقسامه بما يقسم به من خلقه يدل على عظمة الله عز وجل، لأن عِظم المخلوق يدل على عِظم الخالق، وقد أقسم الله تعالى بأشياء كثيرة من خلقه، ومن أحسن ما رأيته تكلم على هذا الموضوع ابن القيم رحمه الله في كتابه (التبيان في أقسام القرآن) وهو كتاب جيد ينفع طالب العلم كثيراً[5].

وقد يتكرر القسم بالشيء الواحد كما في سورة الطارق: "{والسماء والطارق. وما أدراك ما الطارق. النجم الثاقب} وقال: {والسماء ذات الرجع. والأرض ذات الصدع. إنه لقول فصل}

---

(١) تفسير جزء عم -عبدالملك القاسم ٨١-٨٢.

(٢) تفسير جزء عم لابن عثيمين ص١١٥-١١٦.

(٣) أخرجه البخاري كتاب الشهادات، باب كيف يستحلف (٢٦٧٩)، ومسلم كتاب الإيمان باب النهي عن الحلف بغير الله تعالى (١٦٤٦).

(٤) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٢/ ٣٤، والترمذي، أبواب النذور والإيمان باب ما جاء في أن من حلف بغير الله فقد أشرك (١٥٣٥) وقال: حديث حسن صحيح..

(٥) تفسير جزء عم لابن عثيمين ص١٤٦-١٤٧.

والمناسبة بين القسمين ـ والله أعلم ـ أن الأول فيه إشارة إلى الطارق الذي هو النجم، والنجم تُرمى به الشياطين الذين يسترقون السمع، وفي رمي الشياطين بذلك حفظ لكتاب الله عز وجل، أما هنا فأقسم بالسماء ذات الرجع أن هذا القرآن قول فصل، فأقسم على أن القرآن قول فصل، فصار القسم الأول مناسبته أن فيه الإشارة إلى ما يحفظ به هذا القرآن حال إنزاله، وفي القسم الثاني الإشارة إلى أن القرآن حياة"[1].

{والفجر. وليال عشر. والشفع والوتر. والليل إذا يسر} كل هذه إقسامات بالفجر، وليال عشر، والشفع والوتر، والليل إذا يسر، خمسة أشياء أقسم الله تعالى بها"[2].

"وجوابُ القَسَمِ محذوف، وتقديرُه لتُجازُنَّ بأعمالِكم"[3].

"{والشمس وضحاها} أقسم الله تعالى بالشمس وضحاها وهو ضوؤها لما في ذلك من الآيات العظيمة الدالة على كمال قدرة الله سبحانه وتعالى، وكمال علمه ورحمته. فإن في هذه الشمس من الآيات ما لا يدركه بعض الناس، فإذا طلعت الشمس فكم توفر على العالم من طاقة كهربائية؟ توفر آلاف الملايين، لأنهم يستغنون بها عن هذه الطاقة، وكم يحصل للأرض من حرارتها، من نضج الثمار، وطيب الأشجار، ما لا يعلمه إلا الله عز وجل، ويحصل فيها فوائد كثيرة لا أستطيع أن أعدها؛ لأن غالبها يتعلق في علم الفلك وعلم الأرض والجيولوجيا لكنها من آيات الله العظيمة"[4].

"قولُه تعالى: {قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا *وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا}: هذا جوابُ الأقسامِ الماضية"[5].

"فالله عز وجل أقسم بأشياء متضادة على أشياء متضادة: الليل ضد النهار، الذكر ضد الأنثى، السعي متضاد صالح وسيء، فتناسب المقسم به والمقسم عليه، وهذا من بلاغة القرآن. فالمعنى أن اختلاف

---

(١) تفسير جزء عم لابن عثيمين ص١٥١ باختصار يسير.

(٢) تفسير جزء عم لابن عثيمين ص١٨٦.

(٣) تفسير جزء عم الطيار ص١٣٩.

(٤) تفسير جزء عم لابن عثيمين ص٢٢٠.

(٥) تفسير جزء عم الطيار ١٥٨.

الليل والنهار والذكر والأنثى أمر ظاهر لا يخفى، فكذلك أعمال العباد متباينة متفاوتة، منها الصالح، ومنها الفاسد، ومنها ما يخلط صالحاً وفاسداً، كل ذلك بتقدير الله عز وجل"[1].

" قولُه تعالى: {إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى}: هذا جوابُ الأقسامِ الماضية"[2].

**أسلوب الخطاب:**

منذ نزول الوحي، شد أسلوب الخطاب القرآني اهتمام العرب، فخر جبابرة البيان صاغرين لبلاغته؛ لأنه كلام الخالق المعجز، فكل كلمةٍ فيه لها وقع على النفوس، وكل عبارةٍ تصور لنا معنى كاملاً بشكل دقيق.

وقد تنوع الخطاب في القرآن، فخاطب الله الأنبياء والمرسلين عليهم السلام:

"والخطاب الموجه للرسول في القرآن الكريم على ثلاثة أقسام:

**القسم الأول:** أن يقوم الدليل على أنه خاص به فيختص به.

**القسم الثاني:** أن يقوم الدليل على أنه عام فيعم.

**القسم الثالث:** أن لا يدل دليل على هذا ولا على هذا، فيكون خاصًّا به لفظاً، عامًّا له وللأمة حكماً.

مثال الأول: قوله تبارك وتعالى: {ألم نشرح لك صدرك. ووضعنا عنك وزرك} [الشرح: ١-٢]. ومثاله أيضاً قوله تعالى: {وأرسلناك للناس رسولاً} [النساء: ٧٩]. فإن هذا من المعلوم أنه خاص بالنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

ومثال الثاني الموجه للرسول عليه الصلاة والسلام، وفيه قرينة تدل على العموم: قوله تعالى: {يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن} [الطلاق: ١]. فوجه الخطاب أولاً للرسول عليه الصلاة والسلام قال: {يا أيها النبي} ولم يقل «يا أيها الذين آمنوا إذا طلقتم» قال: {يا أيها النبي إذا طلقتم}، ولم يقل: (يا أيها النبي إذا طلقت) قال: {يا أيها النبي إذا طلقتم} فدل هذا على أن الخطاب الموجه للرسول عليه الصلاة والسلام موجه له وللأمة.

---

(١) تفسير جزء عم لابن عثيمين ص ٢٢٦-٢٢٧.

(٢) تفسير جزء عم الطيار ١٦٣.

وأما أمثلة الثالث: فهي كثيرة جداً يوجه الله الخطاب للرسول عليه الصلاة والسلام، والمراد الخطاب له لفظاً وللعموم حكماً. يقول الله عز وجل: {سبح اسم ربك الأعلى}"[1].

وخاطب الله النبي عليه الصلاة والسلام والمراد العموم للاهتمام:

قال سبحانه: {هل أتاك حديث موسى} الخطاب "للنبي صلى الله عليه وآله وسلم أو لكل من يتأتى خطابه ويصح توجيه الخطاب إليه، ويكون على المعنى الأول (هل أتاك يا محمد)، وعلى المعنى الثاني: (هل أتاك أيها الإنسان)"[2].

وقال تعالى: {فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى} "علَّق ابن القيم[3] على ما في هاتين الآيتين من لِين الخطاب، أنقله بطوله لما فيه من الفائدة. قال: «ثم أمره أن يخاطبَه بألْيَن خطابٍ، فيقول: {فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى *وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى} [النازعات: ١٨-١٩]، ففي هذا من لُطف الخطاب ولِينه وجوه:

أحدها: إخراجُ الكلامِ مخرجَ العَرْضِ، ولم يخرجه مخرج الأمرِ والإلزام، وهو ألطف، ونظيره قول إبراهيم لضيفه المُكْرَمين: {أَلاَ تَأْكُلُونَ} [الذاريات: ٢٧]، ولم يقل: كلوا.

الثاني: قوله: {إِلَى أَنْ تَزَكَّى}، والتزكي: النماء والطهارة والبركة والزيادة، فعرض عليه أمراً يقبله كل عاقل ولا يردُّه إلا كل أحمقٍ جاهل.

الثالث: قوله: {تَزَكَّى} ولم يقل: أزكِّيك، فأضاف التزكية إلى نفسه، وعلى هذا يُخاطَب الملوك.

الرابع: قوله: {وَأَهْدِيَكَ}؛ أي: أكون دليلاً لك، وهادياً بين يديك. فنسب الهداية إليه، والتزكي إلى المخاطب؛ أي: أكون دليلاً لك وهادياً، فتزكى أنت، كما تقول للرجل: هل لك أن أدُلَّك على كنز تأخذ منه ما شئت؟ وهذا أحسن من قوله: أعطيتك.

الخامس: قوله: {إِلَى رَبِّكَ}، فإن في هذا ما يوجب قَبول ما دلَّ عليه، وهو أن يدعوه ويوصله إلى

---

(١) تفسير جزء عم لابن عثيمين ص١٥٦-١٥٧ باختصار وتصرف.

(٢) تفسير جزء عم لابن عثيمين ص٤٥.

(٣) في كتابه التِّبيان في أقسام القرآن ص٨٨.

ربه: فاطره وخالقه الذي أوجده، وربَّاه بنعمه: جنيناً، وصغيراً، وكبيراً، وآتاه الملك. وهو نوع من خطاب الاستعطاف والإلزام: كما تقول لمن خرج عن طاعة سيده: ألا تطيعَ سيدَكَ ومولاكَ ومالكَكَ؟ وتقول للولد: ألا تطيع أباكَ الذي ربَّاك.

السادس: قوله: {وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ}؛ أي: إذا اهتديت إليه وعرفته خشيته؛ لأن من عرَف الله خافه، ومن لم يعرفه لم يخفه، فخشية الله مقرونة بمعرفته، وعلى قدر المعرفة تكون الخشية.

السابع: أن في قوله: {هَلْ لَكَ} فائدة لطيفة، وهي أن المعنى: هل لك في ذلك حاجة أو إِرَبٌ؟ ومعلوم أن كل عاقل يبادر إلى قَبول ذلك؛ لأن الداعي إنما يدعو إلى حاجته ومصلحته، لا إلى حاجة الداعي، فكأنه يقول: الحاجة لك، وأنت المتزكي، وأنا الدليل لك، والمرشد لك إلى أعظم مصالحك..[1].

قولُه تعالى: {فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ} "الخطابُ هنا للكافر، وهو وإن كان نازلاً فيه أولاً، فإنه لا يعني أنه مختصٌّ به، بل يدخلُ معه غيره؛ لأن الاعتبارَ مطلوبٌ منه ومن المؤمن، والله أعلم"[2].

قولُه تعالى: {لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ} " والمرادُ بذلك ـــ وإن كان الخطابُ إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم موجَّهاً ـ جميع الناس أنهم يَلْقَوْنَ من شدائد يوم القيامة وأهوالِه أحوالاً."[3]

قولُه تعالى: {قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّىٰ *وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ} " ورد في تفسير التَّزكي خلافٌ بين السلف.. والظاهرُ من الخطابِ العموم، وما ذُكِرَ من تفسيراتٍ غيرَه فإنها أمثلة لأعمالٍ تُزَكِّي المسلم، ويظهرُ من رواياتِ مَنْ فسَّر التزكِّي بزكاة المال، أو زكاةِ الفطر، أنَّه استشهد بهذه الآيات، لا أنه أرادَ أنها هي المعنية دون غيرِها؛ لأنَّ السورةَ مكية.. وكذا يحملُ على ما بعدها من الذكر والصلاة إنها على العموم"[4].

"{هل أتاك حديث الغاشية} يجوز أن يكون الخطاب موجه للرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم وحده

---

(١) تفسير جزء عم الطيار ص٤٢.

(٢) تفسير جزء عم الطيار ص٥٦.

(٣) تفسير جزء عم الطيار ص١٠٢.

(٤) تفسير جزء عم الطيار ص١٢٤ مختصرا.

وأمته تبعاً له، ويجوز أن يكون عاماً لكل من يتأتى خطابه، والا ستفهام هنا للتشويق فهو كقوله تعالى: {يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم} [الصف: ١٠]. ويجوز أن يكون للتعظيم لعظم هذا الحديث عن الغاشية"[١]. ومثله {إن ربك لبالمرصاد}

"{ألم تر كيف فعل ربك بعاد. إرم ذات العماد} الخطاب هنا لكل من يوجه إليه هذا الكتاب العزيز، وهم البشر كلهم، بل والجن أيضاً، ألم تر أيها المخاطب {كيف فعل ربك بعاد}"[٢].

وفيه صرف الخطاب من المخاطب إلى غيره:

" تلطف الله عز وجل بمخاطبة النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال في أولها: {عبس وتولى. أن جاءه الأعمى} ثلاث جمل لم يخاطب الله فيها النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأنها عتاب فلو وجهت إلى الرسول بالخطاب لكان شديد عليه لكن جاءت بالغيبة {عبس} وإلا كان مقتضى الحال أن يقول (عبست وتوليت إن جاءك الأعمى) ولكنه قال: (عبس وتولى) فجعل الحكم "[٣].

**وخاطب العموم:**

الخطاب في أصله لجميع الأمة، وهو الأصل في خطاب الشارع، إلا إذا دل دليلٌ شرعي أو لغوي على التخصيص. وهذا الذي يظهر في سور أواسط المفصل.

"يقول الله عز وجل: {يا أيها الإنسان} ويخاطب الإنسان من حيث هو إنسان بقطع النظر عن ديانته"[٤]. وإنَّ "الخطاب بـ(يا أيها الإنسان) استدعاء لمعاني الإنسانية التي أودعها اللهّ سبحانه وتعالى فيه، من قوى عاقلة مدركة، من شأنها أن تميز بين الخير والشر، وتفرق بين الإحسان والإساءة، وأن تضع بين يدي الإنسان ميزانا سليما يضع في إحدى كفتيه ما أحسن اللهّ به إليه،

---

(١) تفسير جزء عم لابن عثيمين ص١٧١.

(٢) تفسير جزء عم لابن عثيمين ص١٩٠.

(٣) تفسير جزء عم لابن عثيمين ص٦٢-٦٣.

(٤) تفسير جزء عم لابن عثيمين ص٨٩.

ويضع في الكفة الأخرىٰ ما يقدر عليه من شكر، وذلك بإحسان العمل"[1].

الابتكار في الخطاب والخبر:

قولُه تعالىٰ: {فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا} لفظ (الإلهام) إنْ لم يكن من مبتكراتِ القرآن، فهو مما أَحْيَاهُ القرآن؛ لأنه اسمٌ دقيقُ الدلالةِ علىٰ المعاني النفسية، وقليلٌ رواجُ أمثالِ ذلك في اللغة قبلَ الإسلام، لقلَّةِ خطورِ مثل تلك المعاني في مخاطَبات عامَّة العرب[2].

**أسلوب التقسيم:**

أسلوب التقسيم من مبتكرات القرآن، وهو: استيفاء المتكلم أقسام الشيء، بحيث لا يترك شيئاً، وهو آلة الحصر، ومظنة الإحاطة بالشيء؛ وهو ظاهرٌ في أواسط المفصل، كقوله تعالىٰ: {يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة} "إذا رجفت الراجفة وتبعتها الرادفة انقسم الناس إلىٰ قسمين: {قلوب يومئذ واجفة. أبصارها خاشعة. يقولون إنا لمردودون في الحافرة. أإذا كنا عظاماً نخرة قالوا تلك إذاً كرة خاسرة} وهذه قلوب الكفار {واجفة} أي: خائفة خوفاً شديداً. {أبصارها خاشعة} يعني ذليلة لا تكاد تحدق أو تنظر بقوة ولكنه قد غضت أبصارهم لذلهم ـ والعياذ بالله ـ قال الله تعالىٰ: {وتراهم يعر ضون عليها خا شعين من الذل ينظرون من طرف خفي} [الشورىٰ: ٤٥]. وأما القسم الثاني فقلوبهم علىٰ عكس قلوب هؤلاء ويدل لهذا التقسيم قوله: {قلوب يومئذ} بصيغة النكرة، فيكون المعنىٰ: وقلوب علىٰ عكس ذلك"[3].

وقوله تعالىٰ: {فَأَمَّا مَن طَغَىٰ * وَءاثَرَ الْحَيَوةَ الدُّنْيَا * فَإِنَّ الْجَحِيمَ هي الْمَأْوَىٰ * وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هي الْمَأْوَىٰ}. " وللإنسان ثلاث نفوس: مطمئنة، وأمارة، ولوامة، وكلها في القرآن، أما المطمئنة ففي قوله تعالىٰ: {يا أيتها النفس المطمئنة. ارجعي إلىٰ ربك راضية مرضية. فادخلي في عبادي. وادخلي جنتي} [الفجر: ٢٧-٣٠]. وأما الأمَّارة

---

(١) المهذب في تفسير جزء عم - الشحود ص٢٧٨.

(٢) انظر: التحرير والتنوير، ٣٠/ ٣٦٩ بتصرف.

(٣) تفسير جزء عم لابن عثيمين ص٤٢.

بالسوء ففي قوله تعالى: {وما أبرئ نفسي إن النفس لأمَّارة بالسوء إلا ما رحم ربي} [يوسف: ٥٣]. وأما اللوامة ففي قوله تعالى: {لا أقسم بيوم القيامة. ولا أقسم بالنفس اللوامة} [القيامة: ١-٢]"[1].

"سؤال الناس عن الساعة ينقسم إلى قسمين: سؤال استبعاد وإنكار وهذا كفر كما سأل المشركون النبي صلى الله عليه وسلّم عن الساعة واستعجلوها، وقد قال الله عن هؤلاء: {يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون أنها الحق}. وسؤال عن الساعة يسأل متى الساعة ليستعد لها وهذا لا بأس به، وقد قال رجل للنبي عليه الصلاة والسلام: يا رسول الله متى الساعة؟ قال له: «ماذا أعددت لها؟ قال: حب الله ورسوله. قال: «المرء مع من أحب»[2]، فالناس يسألون النبي عليه الصلاة والسلام ولكن تختلف نياتهم في هذا السؤال، ومهما كانت نياتهم ومهما كانت أسئلتهم فعلم الساعة عند الله ولهذا قال: {فيمَ أنت من ذكراها} يعني أنه لا يمكن أن تذكر لهم الساعة، لأن علمها عند الله كما قال تعالى في آية أخرى: {قل إنما علمها عند الله} [الأحزاب: ٦٣]. وقد سأل جبريل عليه السلام وهو أعلم الملائكة، بوحي الله النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو أعلم البشر بذلك قال: أخبرني عن الساعة. فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «ما المسؤول عنها بأعلم من السائل»[3]"[4].

وفي قوله تعالى: "{لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ} كل إنسان في ذلك اليوم مشتغل بنفسه لا ينظر إلى غيره، فحينئذ ينقسم الخلق إلى فريقين: سعداء وأشقياء، فأما السعداء فهم كما ذكر سبحانه"[5].

---

(١) تفسير جزء عم لابن عثيمين ص٥٣-٥٤.

(٢) أخرجه البخاري كتاب الأدب باب ما جاء في قول الرجل ويلك، (٦١٦٧) ومسلم كتاب البر باب المرء مع من أحب (٢٦٣٩) (١٦١).

(٣) أخرجه البخاري كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل (٥٠) ومسلم كتاب الإيمان باب بيان الإيمان والإسلام (١).

(٤) تفسير جزء عم لابن عثيمين ص٥٦.

(٥) تفسير جزء عم -عبدالملك القاسم ص٤٠.

" قسّم الله الناس في ذلك اليوم إلى قسمين فقال: {وجوه يومئذ} يعني يوم القيامة (مسفرة) من الإسفار وهو الوضوح لأنها وجوه المؤمنين تُسفر عما في قلوبهم من السرور والانشراح {ضاحكة} يعني متبسمة، وهذا من كمال سرورهم {مستبشرة} أي قد بشرت بالخير لأن الملائكة تتلقاهم بالبشرى يقولون {سلام عليكم} {ووجوه يومئذ} يعني يوم القيامة {عليها غبرة} أي شيء كالغبار؛ لأنها ذميمة قبيحة {ترهقها قترة} أي ظلمة {أولئك هم الكفرة الفجرة} الذين جمعوا بين الكفر والفجور"[1].

"وقوله: {مكين} أي ذو مكانة، أي أن جبريل عند الله ذو مكانة وشرف، ولهذا خصه الله بأكبر النعم التي أنعم بها على عباده، وهو الوحي فإن النعم لو نظرنا إليها لوجدنا أنها قسمان: نِعَم يستوي فيها البهائم والإنسان، وهي متعة البدن الأكل والشرب، والنكاح والسكن، هذه النعم يستوي فيها الإنسان والحيوان، فالإنسان يتمتع بما يأكل، وبما يشرب، وبما ينكح، وبما يسكن، والبهائم كذلك. ونِعمٌ أخرى يختص بها الإنسان، وهي الشرائع التي أنزلها الله على الرسل لتستقيم حياة الخلق، لأنه لا يمكن أن تستقيم حياة الخلق التي تكون بها سعادة الدنيا والآخرة إلا بالشرائع {من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون} [النحل: ٩٧]. فالمؤمن العامل بالصالحات هو الذي له الحياة الطيبة في الدنيا والثواب الجزيل في الآخرة"[2].

ولما ذكر الله عز وجل يوم القيامة وقيام الناس فيه لرب العالمين، وذكر مصير الناس فيه، وأنهم ينقسمون إلى قسمين: فجار، وأبرار ابتدأ بالفجار لدناءة أعمالهم وسوء مآلهم فقال سبحانه: {كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ}"[3]، ثم ذكر كتاب الأبرار. "من اهتدى بهدي الله واتبع ما أمر الله به، وترك ما نهى الله عنه، وصدق بما أخبر الله به، وفعل مثل ذلك فيما جاء عن رسول الله صلى الله عليه

---

(١) تفسير جزء عم لابن عثيمين ص ٦٨.

(٢) تفسير جزء عم لابن عثيمين ص ٧٧.

(٣) تفسير جزء عم -عبدالملك القاسم ٥٩.

وعلىٰ آله و سلم فلا شك أن قلبه يستنير وأنه يرىٰ الحق حقًّا، ويرىٰ الباطل باطلاً، ويعظم آيات الله عز وجل، ويرىٰ أنها فوق كل كلام، وأن هدي محمد صلىٰ الله عليه وسلّم فوق كل هدي، هذا من أنار الله قلبه بالإيمان، أما من تلطخ قلبه بأرجاس المعاصي وأنجاسها فإنه لا يرىٰ هذه الآيات حقًّا، بل لا يراها إلا أساطير الأولين! كما في هذه الآية: {كلا بل ران علىٰ قلوبهم ما كانوا يكسبون}"[1].

وكذلك "قسَّم الله عز وجل الناس عند ملاقاته تعالىٰ إلىٰ قسمين: منهم من يأخذ كتابه بيمينه، ومنهم من يأخذ كتابه من وراء ظهره، {فأما من أوتي كتابه بيمينه. فسوف يحاسب حساباً يسيراً}"[2] الآيات.

" قال: {سيذكر من يخشىٰ. ويتجنبها الأشقىٰ} فبين تعالىٰ أن الناس ينقسمون بعد الذكرىٰ إلىٰ قسمين:

**القسم الأول:** من يخشىٰ الله عز وجل، أي يخافه خوفاً عن علم بعظمة الخالق جل وعلا، فهذا إذا ذكر بآيات ربه تذكر كما قال تعالىٰ في وصف عباد الرحمن: {والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صمًّا وعمياناً} [الفرقان: ٧٣]. فمن يخشىٰ الله ويخاف الله إذا ذكر ووعظ بآيات الله اتعظ وانتفع.

**أما القسم الثاني:** فقال: {ويتجنبها الأشقىٰ} أي يتجنب هذه الذكرىٰ ولا ينتفع بها الأشقىٰ و{الأشقىٰ} هنا اسم تفضيل من الشقاء وهو ضد السعادة كما في سورة هود: {فأما الذين شقوا ففي النار}[هود: ١٠٦]. {وأما الذين سعدوا ففي الجنة} [هود: ١٠٨]. فالأشقىٰ المتصف بالشقاوة يتجنب الذكرىٰ ولا ينتفع بها، والأشقىٰ هو البالغ في الشقاوة غايتها وهذا هو الكافر، فإن الكافر يذكر ولا ينتفع بالذكرىٰ، ولهذا قال: {الذي يصلىٰ النار الكبرىٰ}"[3].

وكذلك "قسَّم الله سبحانه وتعالىٰ الناس في هذا اليوم إلىٰ قسمين فقال: {وجوه يومئذ خاشعة}

---

(١) تفسير جزء عم لابن عثيمين ص ١٠٠.

(٢) تفسير جزء عم لابن عثيمين ص ١١٣.

(٣) تفسير جزء عم لابن عثيمين ص ١٦٥.

{خاشعة} أي ذليلة كما قال الله تعالى: {وتراهم يعرضون عليها خاشعين من الذل ينظرون من طرف خفي} [الشورى: ٤٥]، ثم ذكر الله عز وجل القسم الثاني من أقسام الناس في يوم الغاشية فقال: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ * لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ * فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ * لاَّ تَسْمَعُ فِيهَا لَغِيَةً * فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ * فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ * وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ * وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ * وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ}.

{وجوه يومئذ ناعمة} أي ناعمة بما أعطاها الله عز وجل من السرور والثواب الجزيل؛ لأنها علمت ذلك وهي في قبورها، فإن الإنسان في قبره ينعم، يفتح له باب إلى الجنة فيأتيه من روحها ونعيمها، فهي ناعمة {لسعيها راضية} أي لعملها الذي عملته في الدنيا راضية لأنها وصلت به إلى هذا النعيم وهذا السرور وهذا الفرح، فهي راضية لسعيها بخلاف الوجوه الأولى فإنها غاضبة ـ والعياذ بالله ـ غير راضية على ما قدمت. {في جنة عالية} الجنة هي دار النعيم التي أعدها الله عز وجل لأوليائه يوم القيامة"[1].

(١) تفسير جزء عم لابن عثيمين ص ١٧٢-١٧٤ مختصرا.

## الخاتمة

الحمد لله على فضله وإحسانه بتمام هذه المقدمات اليسيرة، ويخلص الباحث فيها إلى ما يلي:

١. أنَّ البدء بالمفصل في الإقراء والتعليم والعلم والحفظ سنةٌ ثابتةٌ، ولها أثرها التربوي والإيماني الظاهر.

٢. أنَّ ترداد العبد للمفصل لا سيما في صلاته سنّة محمدٍ صلى الله عليه وسلم وصحابته وسلف الأمة، وعليه سار الفقهاء -رحم الله الجميع- في وصف الصلوات وما يُقرأ بها، ولذلك أثرٌ إيماني وتربوي وعلمي، وهو ممَّا يدعو ويعين على تدبر القرآن، وتذوق حلاوته، وامتثال ما تضمنه من الهدايات.

٣. تضمنت سور المفصل تدرجاً في التشريع، وترتيباً للأولويات عند المسلم، وتقديم الأهم والأعظم أثراً ثم المهم، وكل القرآن خيرٌ وصلاحٌ، وإرشادٌ ودلالة للتي هي أقوم في الدين والدنيا.

٤. دقة تناسب وترتيب سور المفصل، وترتيب كل سورة منها، على النحو الذي هو عليه، وعِظَم أوجه المناسبات بينها، وتناسب موضوعاتها، مع ظهور اهتمام أهل العلم بذلك.

٥. مما يعين الإنسان على تدبر هذه السور العظيمة: حسن قراءتها كما ثبت في السنة، وترتيلها، ومعرفة الوقوف فيها، وحسن الاستماع لها والإنصات في الصلاة وغيرها، مع استحضار النيّة، وحضور القلب، والتفكر والتأمل في معانيها ودلالاتها، واستشعار أنها رسائل من الربِّ العظيم الملك الرحيم ذو الجمال والجلال والإكرام.

٦. مع قِصر سور أواسط المفصل ومحدودية عدد آياتها؛ إلاَّ أن موضوعاتها ومسائلها تجاوزت (٦٠٠) مسألة، ولو دقق الباحث في كلام أهل العلم واستقصاه لوجد أنها أكثر من ذلك، فلله ما أعظم إعجاز كلامه، وما أبلغه وأوفاه.

٧. التدرج في طرح الموضوعات، والتناسق العجيب بين السور وكأنها وحدة متكاملة، وكذا بين موضوعات السورة الواحدة، مع التوافق العجيب بين السور وكأنها قصة واحدة، والإيجاز في سورةٍ لأجل التشويق لما بعدها، ثم توضيح المبهم.

٨. عند النظر في الموضوعات المشتركة بين سور أواسط المفصل وهي:(١٥) سورة؛ نجد اشتراكاً مذهلاً في تلك الموضوعات، ولعل أبرزها: الإيمان بالله عموماً، وتوحيده خصوصاً، والإيمان باليوم الآخر، والإقرار بالرسالة والرسول محمد صلى الله عليه وسلم، ثم الإيمان بالوحي، وتضمنت نصيباً من الإشارة إلى قصص السابقين بألفاظٍ موجزة، ومعانٍ تهز الجبال.

٩. لم تخل سور أواسط المفصَّل على وجازتها من خصائص أسلوبيّةٍ لغويةٍ عجيبة الشأن، وموضوعيةٍ شاملةٍ لما يُصلح المكلف، مع حُسن البلاغة والبيان، وجمال النظم وتمامه؛ بما لا يُجارى ولا يُبارى.

١٠. تنوعت الأساليب المشتركة بين سور أواسط المفصل، فتجد نفسك أثناء البحث في ذلك أمام حديقةٍ غنَّاء، عظيمة الشأن، متنوعة الأفانين؛ فما بين أسلوب الوعظ والتذكير، إلى أسلوب التهديد والوعيد، ومزج ذلك بحسن الوعد وجماله وكماله، وإلى مَا يدعو إلى التفكر والنظر والتأمل، وأسلوب التدبر في العواقب والنتائج العاجلة والآجلة، وأساليب: التأكيد، والتكرار، والقسم، والتنويع، وحسن الخطاب، وجمال التقسيم.. كل ذلك بتراوحٍ بليغٍ بينها.

١١. الجمع بين الترغيب والترهيب، والوعد والوعيد، والجنة والنار، والعظمة مع الجمال، والعزة مع الرحمة.

١٢. أن الربط بين السور يحتاج الكثير من الجهد لإخراج هذه الكنوز، وإظهار عظمة القرآن الكريم.

**ومما يقترحه الباحث:**

- بحث ودراسة الموضوعات والمسائل التي تضمنتها سور أواسط المفصل، بتدبر وتمهل.
- دراسة ما كرره النبي صلى الله عليه وسلم، وما كرره الصحابة ثم السلف من بعدهم من السور والآيات، والربط بين ما تضمنته، ومناسبات ذلك، وبيان أثره على المكلف من جميع الجوانب: في المعرفة والسلوك والفقه والاعتقاد، وتطبيقات ذلك في واقع الأمّة أفراداً ومجتمعات.
- إجراء دراسات ميدانية في أثر تدبر سور المفصل أو بعضها في مجالات مختلفة؛ كالتدريس،

والإمامة، والخطابة، والوعظ.. وتطبيقات ذلك على ذوي الجنح والجرائم، وعلى الناشئة، والمسلم الجديد، والتائبين الجدد، وعلى المرأة، والرجل، والمشترك العام.

وأختم ذلك بعبارة شيخنا الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: "والحاصل أن هذه السور سورٌ عظيمةٌ، فيها تذكرةٌ وموعظةٌ ينبغي للمؤمن أن يقرأها بتدبرٍ وتمهلٍ، وأن يتعظ بما فيها، كما أن الواجب عليه في جميع سور القرآن وآياته أن يكون كذلك؛ حتى يكون ممن اتعظ بكتاب الله وانتفع به، نسأل الله تعالى أن يعظنا وإياكم بكتابه و سنة رسوله صلى الله عليه وآله و سلم وآياته الكونية، إنه على كل شيء قدير"[1]. آمين.

(١) تفسير جزء عم لابن عثيمين ص ٨٧ بتصرف يسير.

# ثبت المصادر والمراجع


- إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة، المؤلف: أبو العباس شهاب الدين أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل بن سليم بن قايماز بن عثمان البوصيري الكناني الشافعي (ت: ٨٤٠هـ)، المحقق: دار المشكاة للبحث العلمي، نشر: دار الوطن للنشر، الرياض، ط١، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.
- الإتقان في علوم القرآن - جلال الدين السيوطي- دار التراث- القاهرة.
- الآحاد والمثاني، المؤلف: أحمد بن عمرو بن الضحاك أبو بكر الشيباني، تحقيق: د. باسم فيصل أحمد الجوابرة، نشر: دار الراية - الرياض، ط١، ١٤١١ - ١٩٩١.
- الأحاديث المختارة- الحافظ أبوعبدالله محمد بن عبدالواحد بن أحمد الحنبلي المقدسي المشهور بالضياء المقدسي-تحقيق: عبدالملك بن عبدالله بن دهيش- مكتبة النهضة الحديثة - مكة المكرمة ط١ - (١٤١٠هـ).
- أسنى المطالب في شرح روض الطالب، المؤلف: زكريا بن محمد بن زكريا الأنصاري، زين الدين أبو يحيى السنيكي (ت: ٩٢٦هـ)، نشر: دار الكتاب الإسلامي، الطبعة: بدون، وبدون تاريخ.
- اقتضاء الصراط المستقيم، تأليف: أحمد بن عبدالحليم بن تيمية الحراني (ت٧٢٨هـ)، تحقيق: ناصر عبدالكريم العقل، نشر: دار عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط٧، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.
- تاريخ دمشق - علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي المعروف بابن عساكر - دار الفكر بيروت- ط(١٤١٥هـ).
- التبيان في أقسام القرآن، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، تحقيق: محمد حامد الفقي، نشر: دار المعرفة، بيروت، لبنان.
- تبين الحقائق شرح كنز الدقائق، فخر الدين عثمان بن علي الزيلعي الحنفي، نشر- دار الكتب الإسلامي، ١٣١٣هـ، القاهرة.
- التحرير والتنوير - ابن عاشور - الدار التونسية للنشر - تونس- ١٩٨٤م.

- تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري، تأليف / جمال الدين عبدالله بن يوسف بن محمد الزيلعي، تحقيق: د.عبدالله بن عبدالرحمن السعد، نشر: دار ابن خزيمة، ط١ - الرياض - ١٤١٤هـ.
- الترغيب والترهيب- لزكي الدين عبدالعظيم بن عبدالقوي المنذري- - مكتبة دار التراث- القاهرة.
- التسهيل لعلوم التنزيل، المؤلف: أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبدالله، ابن جزي الكلبي الغرناطي (ت: ٧٤١هـ)، تحقيق: د. عبدالله الخالدي، نشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم - بيروت، ط١ - ١٤١٦هـ.
- تفسير القرآن العظيم - إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي - تحقيق سامي بن محمد السلامة - دار طيبة للنشر والتوزيع - ط١ (١٤١٨هـ-١٩٩٧مـ).
- تفسير القرآن العظيم «جزء عم»، المؤلف: عبدالملك بن محمد بن عبدالرحمن بن قاسم العاصمي، نشر: دار القاسم للنشر، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.
- تفسير القرآن العظيم- عبدالرحمن بن أبي حاتم الرازي- تحقيق: أسعد محمد الطيب- مكتبة نزار مصطفي الباز - مكة المكرمة- ط١(١٤١٧هـ).
- تفسير القرآن من الجامع لابن وهب، تأليف: عبدالله بن وهب (ت ١٩٧هـ)، تحقيق: ميكلوش موراني، نشر: دار الغرب الإسلامي، ط١، ٢٠٠٣م.
- التفسير القرآني للقرآن - تأليف: د. عبدالكريم الخطيب - نشر: دار الفكر العربي - القاهرة - ١٩٧٠م.
- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، المؤلف: د وهبة بن مصطفى الزحيلي، نشر: دار الفكر المعاصر - دمشق، ط٢، ١٤١٨هـ.
- التفسير الوسيط- د.محمد سيد طنطاوي- نشر مطبعة السعادة - القاهرة - الطبعة الثالثة ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

- تفسير جزء عم (تفسير القرآن الكريم) -محمد بن صالح العثيمين - اعتنى به: فهد بن ناصر السليمان -دار الثريا للنشر- الطبعة الثانية ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م.
- تفسير جزء عم للشيخ مساعد الطيار، المؤلف: د مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، نشر: دار ابن الجوزي، ط٨، ١٤٣٠هـ.
- تفسير جزء عم، المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (ت: ١٤٢١هـ)، إعداد وتخريج: فهد بن ناصر السليمان، نشر: دار الثريا للنشر والتوزيع، الرياض، ط٢، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م.
- التوكيد وتطبيقاته في القران الكريم، إعداد: قاسمي سليمان/ عبدلي نورالدين، إشراف: معمر زروقي، رسالة علمية مرقومة بالآلة.
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان - عبدالرحمن بن ناصر السعدي - تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق- مؤسسة الرسالة - بيروت - ط١(١٤١٦هـ- ١٩٩٦م).
- جامع البيان عن تفسير آي القرآن - محمد بن جرير الطبري - تحقيق د.عبدالله بن عبدالمحسن التركي - مركز البحوث والدراسات الإسلامية - القاهرة -ط١ (١٤٢٢هـ ٢٠٠١م).
- جامع البيان في تأويل القرآن، المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت: ٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ناشر: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
- جامع الترمذي - محمد بن عيسى الترمذي - بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع - الرياض - (١٤١٩هـ١٩٨٩م)- اعتناء فريق بيت الأفكار الدولية.
- الجامع لأحكام القرآن - محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي - دار الكتاب العربي.
- حاشية الدسوقي على الشرح الكبير - محمد عرفة الدسوقي - نشر: دار الفكر للطباعة والنشر.
- خلاصة الأحكام في مهمات السنن وقواعد الإسلام، المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت: ٦٧٦هـ)، تحقيق: حسين إسماعيل الجمل، نشر: مؤسسة الرسالة - لبنان

- بيروت، ط١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

- الدر المنثور في التفسير بالمأثور - لجلال الدين السيوطي - تحقيق د.عبدالله بن عبدالمحسن التركي - مركز هجر للبحوث وا لدراسات الإسلامية والعربية - القاهرة - ط١(١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣مـ).

- دراسة وظيفية لأسلوب التوكيد في القرآن الكريم، إعداد: عائشة عبيزة، إشراف: السعيد هادف هداية الرواة، رسالة علمية مرقومة بالآلة.

- رد المحتار على الدر المختار (حاشية ابن عابدين)، المؤلف: ابن عابدين، محمد أمين بن عمر بن عبدالعزيز عابدين الدمشقي الحنفي (ت: ١٢٥٢هـ)، نشر: دار الفكر-بيروت، ط٢، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

- الرد على من يقول الم حرف لينفي الألف والام والميم عن كلام الله عز و جل، المؤلف: عبدالرحمن بن محمد بن إسحاق، ابن مندة العبدي الأصبهاني، أبو القاسم (ت: ٤٧٠هـ)، تحقيق: عبدالله بن يوسف الجديع، نشر: دار العاصمة - الرياض، ط١ - ١٤٠٩هـ

- زاد المسير في علم التفسير - عبدالرحمن بن على الجوزي- المكتب الإسلامي - بيروت- ط٤(١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م).

- زاد المسير في علم التفسير، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت: ٥٩٧هـ)، تحقيق: عبدالرزاق المهدي

- زاد المعاد في هدي خير العباد - ابن القيم: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبدالله - تحقيق: شعيب الأرناؤوط - عبدالقادر الأرناؤوط- مؤ سسة الر سالة- بيروت، ومكتبة المنار الإسلامية - الكويت- ط١٤ (١٤٠٧هـ ١٩٨٦م).

- سلسلة الأحاديث الصحيحة - محمد ناصر الدين الألباني- المكتب الإ سلامي - بيروت - ط٤(١٤٠٥هـ-١٩٨٥مـ).

- سنن ابن ماجة - محمد بن يزيد ابن ماجة القزويني - بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع

- الرياض - (١٤١٩هـ١٩٨٩م)- اعتناء فريق بيت الأفكار الدولية.
- سنن أبي داود - سليمان بن الأشعث السجستاني - بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع - الرياض - (١٤١٩هـ١٩٨٩م)- اعتناء فريق بيت الأفكار الدولية.
- سنن البيهقي الكبرى، المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي(ت ٤٥٨ هـ)، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا، نشر: مكتبة دار الباز - مكة المكرمة، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
- سنن الدارمي: عبدالله بن عبدالرحمن بن الفضل بن بهرام الدارمي، (الطبعة بدون)، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، (التاريخ بدون).
- السنن الكبرى - النسائي: أحمد بن شعيب أبو عبدالرحمن النسائي- تحقيق: د.عبدالغفار سليمان البنداري، سيد كسروي حسن - دار الكتب العلمية - بيروت - ط١ (١٤١١هـ ١٩٩١م).
- السنن الكبرى- البيهقي: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي- تحقيق: محمد عبدالقادر عطا - مكتبة دار الباز - مكة المكرمة - (١٤١٤هـ ١٩٩٤م).
- السنن الكبرى، المؤلف: أبو عبدالرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (ت: ٣٠٣هـ)، حققه: حسن عبدالمنعم شلبي، اشراف: شعيب الأرناؤوط، نشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، ط١ ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
- السنن الكبير، المؤلف: أبو بكر أحمد بن الحُسَين بن عليٍّ البيهقي (ت ٤٥٨ هـ)، تحقيق: الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركي، نشر: مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية، ط١، ١٤٣٢هـ- ٢٠١١م.
- سنن النسائي - أحمد بن شعيب النسائي - بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع - الرياض - (١٤١٩هـ-١٩٨٩مـ)- اعتناء فريق بيت الأفكار الدولية.
- الشَّرح الممتع على زاد المستقنع --محمد بن صالح العثيمين - بإشراف مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية -دار ابن الجوزي للنشر- السعودية -الدمام- الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م.

- شرح مختصر خليل للخرشي، المؤلف: محمد بن عبدالله الخرشي المالكي أبو عبدالله (ت: ١١٠١هـ)، نشر: دار الفكر للطباعة – بيروت، بدون طبعة، وبدون تاريخ.
- شعب الإيمان – أبو بكر أحمد بن الحسيني البيهقي – تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول – دار الكتب العلمية – بيروت – ط١(١٤١٠هـ).
- صحيح البخاري: أبو عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: مصطفى البغا، دمشق، دار ابن كثير، ١٤٠٧ هـ.
- صحيح الترغيب والترهيب – محمد ناصر الدين الألباني– مكتبة المعارف – الرياض –ط٥.
- صحيح الجامع الصغير وزياداته – محمد ناصر الدين الألباني – تعليق وفهرسة زهير الشاويش – المكتب الإسلامي – بيروت – ط١(١٤٠٨هـ–١٩٨٨مـ).
- صحيح سنن ابن ماجة: ناصر الدين الألباني، مكتب التربية العربية لدول الخليج الرياض، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ– ١٩٨٨م.
- صحيح سنن أبي داود: ناصر الدين الألباني، مكتب التربية العربية لدول الخليج الرياض، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ– ١٩٨٨م.
- صحيح سنن الترمذي: ناصر الدين الألباني، مكتب التربية العربية لدول الخليج الرياض، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ– ١٩٨٨م.
- صحيح سنن النسائي: ناصر الدين الألباني، مكتب التربية العربية لدول الخليج الرياض، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ– ١٩٨٨م.
- صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج، ت ٢٦١ ه، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، البابي الحلبي بمصر ١٩٥٥.
- ضعيف الترغيب والترهيب– محمد ناصر الدين الألباني – مكتبة المعارف – الرياض.
- ضعيف سنن ابن ماجة – محمد ناصر الدين الألباني – تعليق وفهرسة زهير الشاويش – المكتب الإسلامي – بيروت – ط١(١٤٠٨هـ–١٩٨٨مـ).

- ضعيف سنن الترمذي- محمد ناصر الدين الألباني - تعليق وفهرسة زهير الشاويش - المكتب الإسلامي - بيروت - ط١(١٤٠٨هـ-١٩٨٨مـ).
- الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، تأليف: يحيىٰ بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني العلويّ الطالبي (ت: ٧٤٥هـ)، نشر: المكتبة العنصرية - بيروت، ط١، ١٤٢٣ هـ
- فتاوىٰ نور علىٰ الدرب، المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (ت: ١٤٢١هـ)، [الكتاب مرقم آليا]
- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: محب الدين الخطيب، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبدالباقي، القاهرة، دار الريان للتراث، ١٤٠٧ هـ.
- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير - محمد بن علىٰ الشوكاني - دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع - المنصورة - ط١(١٤١٥)هـ.
- فضائل القرآن وما أنزل من القرآن بمكة وما أنزل بالمدينة، المؤلف: أبو عبدالله محمد بن أيوب بن يحيىٰ بن الضريس بن يسار الضريس البجلي الرازي (ت: ٢٩٤هـ)، تحقيق: غزوة بدير، نشر: دار الفكر، دمشق - سورية، ط١، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م
- فضائل القرآن، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ)، نشر: مكتبة ابن تيمية، ط١- ١٤١٦ هـ.
- فضائل القرآن، المؤلف: أبو العبَّاس جعفر بن محمد بن المعتزِّ بن محمد بن المستغفر بن الفتح بن إدريس المستغفري النسفي (ت: ٤٣٢هـ)، المحقق: أحمد بن فارس السلوم، نشر: دار ابن حزم، ط١، ٢٠٠٨ م
- فضائل القرآن، المؤلف: أبو بكر جعفر بن محمد بن الحسن بن المُسْتَفاض الفِرْيابِي (ت: ٣٠١هـ)، تحقيق: يوسف عثمان فضل الله جبريل، نشر: مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م.
- الفِقْهُ الإسلاميُّ وأدلَّتُهُ، المؤلف: أ.د. وهبة الزُّحيلي، نشر: دار الفكر - سوريَّة - دمشق، ط١٢.

- الفقه على المذاهب الأربعة، المؤلف: عبدالرحمن بن محمد عوض الجزيري (ت: ١٣٦٠هـ)، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط٢، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م
- كشاف القناع عن متن الإقناع، المؤلف: منصور بن يونس بن إدريس البهوتي، ت سنة (١٠٥١هـ)، تحقيق: هلال مصيلحي | مصطفى هلال، نشر: دار الفكر – بيروت، ط: ١٤٠٢هـ
- الكشف والبيان عن تفسير القرآن- الثعلبي: أبو إسحاق أحمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري- دار إحياء التراث العربي- بيروت (١٤٢٢هـ).
- لتبيان في آداب حملة القرآن، المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت: ٦٧٦هـ)، تحقيق: محمد الحجار، نشر: دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت – لبنان، ط٣، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد- علي بن أبي بكر الهيثمي- دار السعادة- القاهرة-ودار الكتاب العربي- بيروت- ط ٣ (١٤٠٢ هـ).
- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية – جمع وترتيب / عبدالرحمن بن محمد بن قاسم ومساعده ابنه محمد – الرئاسة العامة لشؤون الحرمين – المملكة العربية السعودية. (١٤٠٤هـ).
- محاسن التأويل، تأليف: محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (ت: ١٣٣٢هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، نشر: دار الكتب العلميه – بيروت، ط١ – ١٤١٨ هـ
- المحرر في الحديث، تأليف: شمس الدين محمد بن أحمد بن عبدالهادي الحنبلي (ت: ٧٤٤هـ)، تحقيق: د. يوسف عبدالرحمن المرعشلي، محمد سليم إبراهيم سمارة، جمال حمدي الذهبي، نشر: دار المعرفة – لبنان / بيروت، ط٣، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
- مختصر قيام الليل، تأليف: أبو عبدالله محمد بن نصر بن الحجاج المَرْوَزِي (ت: ٢٩٤هـ)، اختصره: أحمد بن علي المقريزي، نشر: حديث أكادمي، فيصل اباد - باكستان، ط١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨ م
- مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد، تأليف: محمد بن عمر نووي الجاوي البنتني إقليما،

التناري بلدا (ت: ١٣١٦ هـ)، تحقيق: محمد أمين الـ صناوي، نشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط١ – ١٤١٧ هـ

- المستدرك على الصحيحين – محمد بن عبدالله الحاكم النيسابوري – تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا – دار الكتب العلمية – بيروت – ط١ (١٤١١هـ – ١٩٩٠م).
- مسند أبي داود الطيالسي – سليمان بن داود أبو داود الفارسي البصري الطيالسي – دار المعرفة – بيروت.
- مسند الإمام أحمد – مؤسسة الرسالة – بيروت – ط١(١٤١٨هـ–١٩٩٧م)– بإشراف المحقق الشيخ شعيب الأرنؤوط.
- المصنف في الأحاديث والآثار – أبو بكر عبدالله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي – مكتبة الرشد – الرياض – الطبعة الأولى، ١٤٠٩ – تحقيق: كمال يوسف الحوت.
- المصنف – لأبي بكر عبدالرزاق الصنعاني – تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي – المكتب الإسلامي – بيروت (١٩٨٣م).
- معالم التنزيل معالم التنزيل – أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي –حققه محمد عبدالله النمر، عثمان جمعة ضميرية، سليمان مسلم الحرش – دار طيبة – الرياض –ط٤ (١٤١٧هـ ١٩٩٧م).
- المعجم الأوسط – سليمان بن أحمد الطبراني – تحقيق: طارق بن عوض الله الحسيني – دار الحرمين – القاهرة – ط١٤١٥هـ.
- المعجم الكبير – سليمان بن أحمد الطبراني – تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي – مكتبة العلوم والحكم – الموصل – ط٢(١٤٠٤هـ).
- مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، المؤلف: أبو عبدالله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت: ٦٠٦ هـ)، نشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ.
- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج – أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي – دار

إحياء التراث العربي – بيروت – الطبعة الثانية، (١٣٩٢هـ).

- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت: ٦٧٦هـ)، نشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط٢، ١٣٩٢هـ.
- المَهذَّبُ في تفسيرِ جزء عَمَّ، جمع وإعداد: علي بن نايف الشحود (معاصر)، المكتبة الشاملة.
- الموسوعة الحديثية – مسند الإمام أحمد – مؤسسة الرسالة – بيروت – ط١(١٤١٨هـ – ١٩٩٧م)- بإشراف المحقق الشيخ شعيب الأرنؤوط.
- الموسوعة الفقهية الكويتية- وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية –الكويت- الطبعة: ١٤٠٤ – ١٤٢٧ هـ.
- الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور – بهاء الدين إبراهيم بن عمر البقاعي – دار الكتاب الإسلامي – القاهرة – ط٢(١٤١٣هـ).
- نور الإيضاح ونجاة الأرواح لأبي الإخلاص حسن الوفائي الشرنبلالي دار الحكمة دمشق ١٩٨٥م.
- الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، المؤلف: أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (ت: ٤٣٧هـ)، المحقق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي – جامعة الشارقة، بإشراف أ.د: الشاهد البوشيخي، نشر: مجموعة بحوث الكتاب والسنة – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الشارقة، ط١، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م.